الإمام محمد الطاهر بن عاشور
(سيرة ومواقف)

د. جمال محمود أحمد أبو حسان *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٧/٢/٢٥م تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٧/١١/١٢م

ملخص

تعد دراسة سيرة الإمام محمد الطاهر بن عاشور طريقاً من طرق الفهم عنه. وبابا من أبواب التعرف على أحواله وأحوال المجتمع الذي عاش فيه، وكذا الاطلاع على تراث زاخر من العلم والمعرفة سواء عن طريق التعرف إلى تلك المصادر التي عرّفت بشخصيته أو عن طريق معرفة المصادر التي نهل منها..

ومن هنا يجيء هذا البحث ليميط اللثام عن تلك السيرة، التي تمثل سيرة علم من أعلام الأمة المعاصرين والمبرّزين في عدة فنون معرفية في مقدمتها علم التفسير، الذي يعد ابن عاشور كبيراً من كبار أعلامه المعاصرين، لتكون هذه الدراسة مدخلاً لدراسة تراثه الزاخر بالعلم والمعرفة، وليكون ذلك التراث مقرّبا، يفتح أمامهم آفاقاً جديدة من أفق المعرفة.

Abstract

The biography of imam Mohammad Altaher ibn aashour's study is considered as a way of understanding and knowing his life, his community and, the sources which he took his knowledge from.

From this piont I wrote this research to make his biography clear which is about one of the most famous scholars of our nation.

مقدمة:

الحمد لله تعالى وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلا شك أن الحديث عن الاستعمار، حديث عن أشد الفترات الحالكة ظلاماً في تاريخ هذه الأمة. تلك الفترات التي أتيت فيها الأمة من جميع جوانبها، ولولا لطف الله بها لضاعت منها هويتها. وإن كانت قد خدشت. وقد عاش الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجزء الأكبر من حياته في ظل الاستعمار التقليدي، وأكمل الباقي في ظل استعمار خفي، ولولا ذلك لما أشرت للاستعمار.

يقول الشيخ الفاضل ابن عاشور في معرض حديثه عن إنشاء الجمعية الخلدونية واصفا تلك الأوضاع التي كانت[١]: (استقر الاستعمار، وتوطد أمره، واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافة، فلم يبق لأبناء البلاد أميرهم وحقيرهم من الأمر شيء، واشتد ساعد الجالية الفرنسية وتضخم عددها، ونفذ أمرها، وعلت كلمتها، فاعتبرت البلاد التونسية وطناً لها، ووضعت أبناءها الأصليين ومصالحهم في مدرجه الإهمال، وصارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية، مستخفة بالديانة الإسلامية والعوائد التونسية، وأصبح جميع المتصرفين الإداريين من الفرنسيين، لا يشاركهم إلا من لم يسهل صرفه من المواطنين القدماء، فبقي على كرسيه جسداً، وصار ابن البلاد مهيناً ساقط الاعتبار، وأصبحت لغته مهجورة، والحكم حكم غيره، والبلاد لأمة غير أمته)[٢].

هذا هو النظر العام للمرحلة الأولى، والتي أدركها ابن عاشور، ولكن لا يعني أن ليس ثمة تحركات علمية وشعبية في تلك الفترة، فقد كان لكتاب الوزير خير الدين[٣] – أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك – الأثر في المجتمع التونسي ممثلاً في فكرة صاحبه،

* أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، جامعة الزرقاء الخاصة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان كذلك لحركة العروة الوثقى تأثيرها على الحركة الفكرية بتونس؛ خصوصاً بعد أن تكررت زيارة الشيخ محمد عبده إليه، كل ذلك كان له أثره في دفع علماء الزيتونة إلى محاولة الإصلاح والنهوض بالأمة[٤].

وبالرغم من تقليص دور الصحافة هناك، فقد برز لبعض الصحف أثرها في بلورة الاتجاهات الفكرية والإصلاحية، ولقيت هذه الصحف والمجلات مسانده عظيمة من كبار العلماء، وأهم هذه الصحف والمجلات: مجلة السعادة العظمى، ومجلة الشبان المسلمين، ومجلة الهداية الإسلامية ومجلة نور الإسلام ومجلة الأزهر ومجلة لواء الإسلام ومجلة الفتح ومجلة البدر ومجلة الزيتونة وجريده الزهراء[٥].

وقد كان في هذه الأثناء وقبلها لبعض الجمعيات مثل الخلدونية والصادقية وجمعية قدماء الصادقية أثر بارز في محاولة إصلاح التعليم، والنهوض بالمجتمع[٦].

إذن هذا هو الجو العام الذي عاش فيه ابن عاشور، ولذلك سأحاول الإلمام السريع بحياة الشيخ بما يفي قارئه بأهم مراحل الحياة عن طريق المباحث التالية:

المبحث الأول : ولادته ونشأته وحياته التربوية وجهده الإصلاحي.

المبحث الثاني: حياته العملية ووظائفه.

المبحث الثالث: آراء ومواقف في حياته.

المبحث الرابع: كتاباته ومؤلفاته.

والله تعالى الموفق.

المبحث الأول

ولادته ونشأته وحياته التربوية والعلمية وجهده الإصلاحي[٧].

هو الشيخ الإمام العلم العلامة محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، من بيت آل عاشور الأشراف الأندلسيين.

فمحمد بن عاشور الجد، ولد بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس، فارا بدينه من القهر والتنصير، وقد وصل إلى تونس سنة ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠م[٨].

ولد مترجَمنا بتونس لسنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م[٩] بضاحية المرسي من أحواز تونس الشمالية في جمادى الأولى/ سبتمبر، للأب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٣٥/١٨١٥-١٢٨٤هـ/١٨٦٨ م) قاضي الحضرة التونسية وصاحب المؤلفات القيمة[١٠]. وجده للأم العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور[١١].

ومنذ ولادته كفله جده للأم الشيخ العزيز بوعتور[١٢] وبدأ بتعلم القراءة وحفظ القرآن في السادسة من عمره في المنزل[١٣] وفي الكتّاب[١٤] وشب على تعليم القرآن حتى أتقنه حفظاً، ونشأ في وسط علمي، وتعلم الفرنسية ما تيسر له ذلك والتحق بجامع الزيتونة عام ١٣١٠/١٨٩٢م.

وقد ظهرت عليه علامات الذكاء، وزادت هذه العلامات والمواهب إبان التحاقه بالزيتونة وبقي مثابراً في الدراسه، حتى نال شهادة التطويع سنة ١٣١٧/ ١٨٩٩م.

قراءاته وأهم شيوخه حتى عام ١٨٩٩م:

ذكر الشيخ محمد الحبيب بن الخوجه الكتب التي قرأها ابن عاشور في حياته الدراسية، قبل أن يصير إلى التدريس، وهي كما ذكرها:

في النحو: سيدي خالد[١٥] والقطر[١٦] والمقدمة[١٧] والمكودي[١٨] ولامية الأفعال[١٩] والأشموني[٢٠] والمغني بشرح الدماميني[٢١].

وفي البلاغة: قرأ الدمنهوري على السمرقندي[٢٢] والسعد على التلخيص والمطول[٢٣].

وفي المنطق: قرأ السلم[٢٤] والتهذيب[٢٥].

وفي الكلام: قرأ الوسطى[٢٦] والعقائد النسفية[٢٧] والمواقف[٢٨].

وفي الفقه: درس الدردير[٢٩] وميارة على المرشد[٣٠] والكفاية على الرسالة[٣١] والتاودي على التحفة[٣٢].

وفي الفرائض: قرأ كتاب الدرة[٣٣].

وفي الأصول: قرأ الحطاب على الورقات[٣٤] والتنقيح للقرافي[٣٥] والمحلي على السبكي[٣٦].

وفي الحديث: شرح غرامي صحيح[٣٧].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي السيرة: الشفاء بشرح الشهاب الخفاجي[٣٨].

وقد درس هذه الكتب على نخبة من العلماء الزيتونيين، كان آخرهم الشيخ سالم بوحاجب الذي درس عليه في المرحلة العالية كتب الحديث والسنة مثل القسطلاني على البخاري، والزرقاني على الموطأ.

وقد أجازه هذا الإجازة التامة المطلقة كتبها له في دفتر دروسه في الخامس والعشرون من رمضان عام ١٣٢٣هـ[٣٩].

أشهر شيوخه الذين تلقى عنهم العلم:

ذكر الشيخ ابن الخوجة والدكتور بلقاسم الغالي وإياد الطباع[٤٠] عددا منهم. وهذا شيء موجز في تراجمهم:

أولاً : جده الوزير محمد بوعتور[٤١].

ثانياً : الشيخ عمر بن الشيخ[٤٢].

ثالثاً : محمد صالح الشريف[٤٣].

رابعاً : محمد الصالح الشاهد[٤٤]:

خامساً : أحمد جمال الدين[٤٥]:

سادساً : محمد النخلي (أبو عبد الله الشيخ محمد النخلي القيرواني)[٤٦].

سابعاً : محمد النجار[٤٧].

ثامناً : عمر بن عاشور[٤٨].

تاسعاً : محمد الطاهر جعفر[٤٩].

عاشراً : شيخ المشايخ الشيخ سالم بوحاجب[٥٠].

وأنت ترى أنهم أئمة أعلام مشاركون في مختلف الفنون، فرحمة الله عليهم جميعاً، ولقد كان لهؤلاء الشيوخ أبرز الأثر في موسوعية ابن عاشور، وسعة ثقافته وعلمه. ومع سعة العلم وموسوعيته، كان الشيخ جم النشاط، غزير الإنتاج تزينه أخلاق رصينة فلم يكن على سعة اطلاعه وغزارة معارفه مغروراً كشأن بعض الأدعياء ممن لم يبلغ مستواه[٥١].

يقول الشيخ محمد الخضر حسين عنه: وللأستاذ فصاحة منطق وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة... انعقدت بيني وبينه سنة ١٣١٧هـ صداقة بلغت في صفائها ومتانتها الغاية التي ليس بعدها غاية، وصداقة بهذه المنزلة تقتضي أن نلتقي كثيراً، وأن يكون كل منا يعرف من سريرة صاحبه ما يعرفه من سريرته، فكنت أرى لسانا لهجته الصدق وسريرة نقية من كل خاطر سيء، وهمة طماحة إلى المعالي، وجدا في العمل لا يمسه كلل ومحافظة على واجبات الدين وآدابه، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقرية في العلم[٥٢].

ويقول الشيخ محمد محفوظ عنه: اشتهر بالصبر وقوة الاحتمال، وعلو الهمة، واعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث، والترفع عن الدنايا[٥٣].

توفي عليه الرحمة يوم الأحد ٣٦ رجب ١٣٩٣هـ/ ١٢ آب ١٩٧٣م عن ٩٤ سنة.

جهده الإصلاحي[٥٤]:

لا شك أن الناس وبخاصة العلماء، وأرباب الغيرة على الدين والوطن. كانوا يشعرون بضرورة إصلاح كثير من الأوضاع بتونس[٥٥]، وعلى رأسها العلم، وحال الناس في التدين.

ولقد كان رائدا الإصلاح: الشيخ محمد النخلي، وسالم بوحاجب، وهما من شيوخ ابن عاشور. هذان الرجلان كانا على درجة عالية من العلم، وتعلقت بهما أنظار المصلحين. ولكن إرادة الله تعالى لم تشأ لهما تحقيق ما كانا يصبوان إليه، وشاءت الإرادة أن يتحقق أملهما على يد تلميذيهما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والتي آتت الطلبات والرغبات الإصلاحية على يديه أكلها وبخاصة في التعلم.

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل الموضوع الإصلاحي فهو بحاجة إلى دراسة مستقلة، ولكن من المفيد أن نقول: إن بذور الإصلاح العلمي وبخاصة في الجامع الأعظم كانت أولاً منطلقة من الجمعية الخلدونية. يقول الشيخ ابن عاشور: كان الشعور بمسيس الحاجة إلى إلمام تلامذة الجامع الأعظم بما يحتاج إليه أهل ذلك العصر من العلوم الفكرية الخارجة عن العلوم الأصلية،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعلوم الآلية للشريعة الإسلامية واللغة العربية، باعثاً لنهوض عزائم النخبة من خريجي المدرسة الصادقية[٥٦]. وغيرها من المدارس القائمة بالتعليم العصري العام. فسعوا لإحداث جمعية تهتم بتكميل ما يحتاج إليه مزاولو العلوم الإسلامية من العلوم التي لم تندرج في برامج تعليمهم، أو اندرجت فيها ولم تتوجه إلى مزاولتها عناية الطلبة، فآلت إلى الإهمال.

هذه الجمعية تأسست في ١٨ رجب سنة ١٣١٤هـ بقرار من جناب الوزير الأكبر[٥٧] قاض بتأسيسها، ومهمتها السعي بطريقة علمية للوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف، بترتيب دروس ومحاضرات باللغة العربية في علوم الحساب، والمساحة والجغرافيا، والتاريخ، ويتبع ذلك حفظ الصحة ومبادئ الطبيعيات والكيمياء[٥٨].

وقد كان لهذه الجمعية ودروسها الأثر العظيم فيما بعد لإصلاح التعليم في جامع الزيتونة[٥٩] وكان لابن عاشور دوره في المشاركة؛ وذلك لتأثره الشديد بمنهج محمد عبده في الإصلاح، واقتناعه به ولأنه كان يمارس فكرته خلال وظيفته كمفت لتونس، وقد عمل ابن عاشور في فتح الفروع العلمية للزيتونة، فعمت فكرته مناطق كثيرة من البلاد وأفاد منها كثير من العباد ولم يكن الشيخ وحيداً في الميدان كما أسلفت، وقد وجد معارضة من كبار العلماء غير الراضين عن منهج محمد عبده، وكان النزاع يحتدم كثيراً بين الشيوخ الراغبين في إصلاح التعليم، وبين الذين يريدون الإبقاء على الجامع كحاله القديم.

إلا أن الحال آل إلى انتصار ابن عاشور بزعامته للحركة الإصلاحية واستقر الأمر على ذلك[٦٠] ولا يأس لو وقفنا قليلاً عند طبيعة هذا الإصلاح الذي نحاه ابن عاشور ومن قبله.

يقول المنصف الشنوفي: ولئن أولى المصلحون التونسيون قضية التعليم كل الاهتمام فإنهم ما فتئوا إلى جانب هذا الجهاد، يجاهدون من أجل قضية ثانية لا تقل أهمية عن الأولى، وهي الإصلاح الديني وتصفيـــة الإسلام مما علق به من أدران التقليد والجمود[٦١].

وقد ذكر هو أيضاً أن أساس الدعوة الإصلاحية من عهدها الأول الذي قامت عليه هو إدخال لقاح العلوم الكونية والرياضية على الثقافة الإسلامية، لا سيما وأن ما وقع بمصر من إدخال تلك العلوم في مناهج التعليم بالأزهر بسعى محمد عبده كان مثالاً جديراً بالاقتداء[٦٢].

إذن قام الإصلاحيون على إصلاح التدين فهل تابعهم ابن عاشور على هذا المنهج؟ إن الجواب على هذا يتطلب العودة إلى الوراء قليلاً لنقول: إن محمد عبده كان له عظيم الأثر في المنهج الإصلاحي للإصلاحيين التونسيين، وبخاصة ابن عاشور الذي تعمـــق فيه ذلك الأثر، وأصبح صـــدى للمؤسسة الإصلاحية المصرية، ونحن نعلم أن الشيخ محمد عبده لم يكن ينحو إلى الإصلاح من طريق السياسة وما شاكلتها، تلك الطريق التي كان ينحو إليها الأفغاني، ولكن عبده يرى أن الإصلاح إنما يكون عن طريق تربية الأمة وتعليمها، وينقل في هذا عن محمد عبده أنه اقترح على الأفغاني بعد أن توقفت مجلتهما (العروة الوثقى) عن الصدور قوله: بأن يتركا السياسة ويذهبا إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفهما فيه أحد، ثم يختارا من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السليمي الفطرة فيربيانهم على منهجهما، ويوجها وجوههم إلى مقصدهما يقول عبده: إذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنيين أخرى إلا ولدينا مائة قائد من قواد الإصلاح، ومن أمثال هؤلاء يرجى الفلاح، فقال له الأفغاني: إنما أنت مثبط[٦٣].

فهذا وإن كان يبين الفارق بين المنهجين والبون بين الطريقتين، إلا أننا نجد أن هناك مشاركة للشيخ "عبده" في الإصلاح الديني وتنقية التدين مما علق به من البدع والانحرافات[٦٤].

فهل تعلق ابن عاشور بأحد جانبي الإصلاح عند الأستاذ الإمام؟

يقول السيد عبد الله الريس: الذي يستقري حركة الإصلاح التي قام بها الشيخ ابن عاشور عليه الرحمة،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجد أنها اقتصرت على إصلاح التعليم في الجامع الأعظم وهذا عمل جليل، ولكن يتساءل المرء لِمَ لَمْ تشمل حركة الإصلاح. الإصلاح الديني بمحاربه البدع الممثلة في إنشاء الزوايا والطرق الصوفية والاعتقادات الباطلة مع أن الإصلاح الديني هو صميم دعوة الإصلاح، وما الإصلاح في التعليم إلا خطوة للإصلاح الديني، ... وإننا لنجد الشيخ قد سكت عن هذه الانحرافات والبدع والخرافات، ولم يسع إلى تغييرها فلماذ؟ ثم يستطرد معللاً هذه الظاهرة بثلاثة تعليلات:

الأول: إن بعض أجداه من أقطاب الصوفية ودعاتها، فلعله اعتبر الإنكار يلحق به المذمة لما كان عليه أجداده.

الثاني: ضعفه في مواجهة السلطة[٦٥]، والسلطة الفرنسية تشجع أصحاب الطرق الصوفية والمنحرفين؛ فلعله لم يرد إغضابهم، وخشي على نفسه، خاصة أن الباي وحاشيته على هذا المنهج، على الطريقة التيجانية.

الثالث: قوة تيار البدعه وكثره القائمين بها وعليها، واعتضادهم بالباي وحاشيته، وجماعة من العلماء البارزين من شيوخ ابن عاشور وغيرهم[٦٦].

وقد لفت النظر إلى مثل هذا الشيخ ابن باديس في أثناء رده على ابن عاشور في فتوى القراءة على الأموات[٦٧]. حيث ذكر في معرض الرد على قول ابن عاشور (وإنما شأن العالم في مثل هذا، أن يرغبهم التأسي بالسنة وبيان أنها الحالة الفضلى بقول لين) يقول: وإذا بان أن هذه بدعة وهي ضلالة، فإنها تغير بدرجات التغيير الثلاث فمن استطاع تغييرها باليد فلا يجوز له الاقتصار على اللسان، ثم إننا والله لقد وددنا لو ظفرنا بهذا الذي قلت منك يا صاحب الفضيلة، وودنا لو أنك قمت مرة واحدة من عمرك – وأنت شيخ الإسلام – فرغبت الناس بالتأسي بالسنة، وبينت أنها الحالة الفضلى بقولك اللين، وكلامك العذب الرقيق، ولكن ويا للأسف كانت أول قومة قمتها هي قومتك هاته التي نحن في معالجتها، ودفع أضرارها، وغسل أوضارها. . ثم ذكر بعد ابن باديس أن ابن عاشور لم ينبس ببنت شفة أمام عادية من عوادي الزمان[٦٨]!

هذا هو الذي بين يدي، ومن يدري فلعل هناك أمورا أخرى لم تصلنا وهو المظنون - إن شاء الله- ولكننا أيضاً ينبغي أن نحسن الظن بهذه العصابة الإصلاحية[٦٩] وعلى رأسها الشيخ ابن عاشور. فنقول: إن اهتمام ابن عاشور واقتصاره على إصلاح التعليم؛ لأنه كان في نظره من أهم الأصول التي يمكن أن تنهض بحياة المسلمين، وتعالج أدواءهم وتخلفهم، وتدنو بهم من الكمال الروحي والمادي، وقد كان ذلك هو نظر الإصلاحيين بعامة[٧٠] بل إننا نجد ابن عاشور ينص على ذلك في طالعة كتابه: أليس الصبح بقريب[٧١].

وإن الناظر في هذا الكتاب المجعول دستورا للإصلاح يجده مقتصراً تمام الاقتصار على إصلاح التعليم في مناحيه المختلفة، دون التعرض لإصلاح التدين والفساد الذي ألم بالأمة. على أن الشيخ ند به القلم إلى الحديث عن بعض الجوانب الأخلاقية والتربوية التي يقتضيها إصلاح التعليم، وإننا لنحمد للشيخ هذا الدستور الذي كان منهجه فيه يصطبغ بصبغة الاعتدال، وعلاج الواقع التعليمي الإسلامي من داخله[٧٢].

وبالنظر إلى هذا الكتاب المجعول دستوراً للإصلاح وإلى غيره من كتب ابن عاشور إضافة إلى الأبحاث التي وصلتني عنه، يمكنني أن أقول: إن الشيخ رحمه الله لم يعر جانب التدين في حياة الناس شيئاً من حركته الإصلاحية!

بقي أن ألقي نظرة على ما آل إليه الإصلاح في الأزهر والزيتونة، في عهد المصلحين عبده وابن عاشور.

أما الأزهر فقد آل إلى حالة يرثى لها فبعد أن كان جامعاً شامخاً صار جامعة، أخذ التعليم يتردى فيها إلى نحو لا يحسد عليه، ولقد زرت الأزهر بمصر فرأيته بمنظر يندى له جبين كل مسلم –فإنا لله وإنا إليه راجعون-[٧٣].

وأما الزيتونة فإن نفراً من التونسيين المعارضين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لابن عاشور كانوا يرون أن مهمة ابن عاشور كانت علمنة التعليم الزيتوني[٧٤]، وإدخاله تحت توجيه وزارة التربية التي يديرها الفرنسيون، وكان بعضهم يرى في ذلك الخطر الماحق على الجامع[٧٥].

وقد كانت الزيتونة جامعا شامخاً ثم صارت جامعة، ثم أصبحت كلية ضمن جامعة مع ما مر بها من مراحل الانهيار العلمي والتردي الموقعي والإغلاق.

والذي يظهر لي أن الإصلاحات التي طرأت على الجامعين استغلت استغلالا خاطئاً فانقلب الإصلاح إلى ما يشبه التخريب – فإنا لله وإنا إليه راجعون–.

والأمل معقود بذوي الهمم العلية من المسلمين لإعادة الجامعين إلى سابق عهدهما وما ذلك على الله بعزيز.

المبحث الثاني
حياته العلمية ووظائفه

وقد كان ابن عاشور في حياته مثالاً للنظام، والضبط، والترتيب فقد تحدث عنه ابنه فيما ينقله عنه السيد عبد الله الريس بقوله: قضى حياته كلها في عمل متواصل دون أن يهمل أية ناحية من حياته العائلية اليومية، مع المحافظة على الاستقامة، والدقة، والضبط، والحزم والنشاط، والقيام على الوجه الأتم بشؤون عائلته الكبيرة، وتدبير أمورها.

فهو مثال للنظام، ولم ينقطع عن أداء أموره في أوقاتها ففي رجب من كل سنة يبدأ في تكرار القرآن استعداداً لصلاة التراويح بالتطويل، التي كان يقوم بها ببيت إقباله (الفنارية) بالمرسي، بعد ساعة وخمس وأربعين دقيقة من المغرب، ثم بعد ساعة يشرع في تلاوة الحديث بمعية ابنه الفاضل. ثم يجلس مدة زمنية، ثم يلتحق ببيت النوم، فينام ويستيقظ قبل الفجر ليتناول طعاماً خفيفاً، ويصلي الصبح، ثم يضطجع من جديد، وبقي هكذا في حياته الخاصة، وأما في حياته العامة: فقد تبوأ ابن عاشور مناصب عديدة وتقلب في وظائف متنوعة، ولا شك أن الرجل كان أهلا لمثل ذلك.

وإليك هذه الوظائف التي تقلب فيها، على ضوء ما أفاده تلميذه محمد ابن الخوجة في مقال شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم وكذا ما ذكره في الكتاب الكبير بعنوان شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور[٧٦].

١. شرع في الإقراء في جامع الزيتونة الأعظم بوصفه متطوعاً في جمادى الثانية ١٣١٧هـ، أكتوبر ١٨٩٩م.
٢. ولي خطة التدريس من الطبقة الثانية على إثر مناظرة فاز بها في ذي القعدة ١٣٢٠هـ، شباط ١٩٣٠م[٧٧].
٣. وفي سنة ١٩٠٤م بدأ التدريس بالمدرسة الصادقية[٧٨].
٤. وفي سنة ١٩٠٥م نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى.
٥. وفي نفس هذه السنة سمي عضواً باللجنة التي تشكلت لتحرير فهرس الكتب الموقوفة على المكتبة الصادقية.
٦. وفي شباط من عام ١٩٠٧م سمي نائباً عن الدولة لدى النظارة العلمية بالجامع الأعظم[٧٩].
٧. وفي سنة ١٩٠٩م عين عضوا بمجلس إدارة المدرسة الصادقية.
٨. وفي نفس السنة السابقة عين عضواً بمجلس المدارس بعموم.
٩. وفي سنة ١٩١٠م عين عضوا بلجنة إصلاح التعليم الأولى.
١٠. وفيها عين عضواً بلجنة ترتيب الكتب الموجودة بالجامع الأعظم مكلفاً بتدوين الفهارس[٨٠].
١١. وفي سنة ١٩١١م عين عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى.
١٢. وفي السنة نفسها عين حاكماً بالمحكمة العقارية.
١٣. وفي سنة ١٩١٣م سمي قاضياً مالكياً للجماعة وبقي كذلك ١٠ سنوات.
١٤. وفي سنة ١٩٢٣م عين مفتياً مالكياً (وفيها عاد للتدريس بالزيتونة والصادقية)[٨١].
١٥. وفي سنة ١٩٢٤م عين مفتياً ثانياً مكلفا بخطة باش مفتي، وفيها عين بلجنة الإصلاح الثانية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦. وفي سنة ١٩٢٧م أصبح كبير أهل الشورى المالكية وهو أعلى منصب يتولاه السادة المالكية قبل إحداث مشيخة الإسلام المالكية.

١٧. وفي ٢٣ محرم ١٣٥١هـ/٢٨ أيار ١٩٣٢م سمي شيخ الإسلام المالكي، وهو أول من تولى هذه المنصب من المالكية.

١٨. وفي هذه السنة أيضاً سلمت إليه مقاليد إدارة جامعة الزيتونة، وبقي سنة على ذلك ثم استقال منه، وقيل: إنه أقيل بسبب إضراب الطلبة لما نسب إليه من فتوى التجنيس(٨٢).

١٩. وفي سنة ١٩٤٥م أعيد إلى مشيخة جامع الزيتونة، وبقي فيها إلى أن اعتزل ذلك خلال سنة ١٩٥١م ويقال: إن اعتزاله بسبب عودة قضية التجنيس والحديث عنها(٨٣).

٢٠. ولما جاء الاستقلال سمي عميداً للجامعة الزيتونية في سنة ١٩٥٦م.

٢١. وكان الشيخ منذ عام ١٩٥٥م عضواً مراسلاً بمجمعي اللغة في القاهرة ودمشق(٨٤).

٢٢. بقي الشيخ كذلك إلى سنة ١٩٦٢م حين ألغيت الجامعة الزيتونية، وأصبحت كلية ضمن الجامعة التونسية، وتسمى الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، وعين ابنه الفاضل عميداً لها ثم تفرغ إلى الكتابة والتأليف(٨٥).

٢٣. أحرز الجائزة التقديرية للرئيس بورقيبة سنة ١٩٦٨م(٨٦). وهل كانت هذه الجائزة تثير التساؤل؟.

هذه هي المناصب التي تولاها الشيخ. آثرت أن أذكرها من هذه المصادر تبعاً بالتسلسل الزمني، فإنه فيما يبدو لي أعون على مواكبة حياه الشيخ.

المبحث الثالث

آراء ومواقف في حياة الشيخ

لا شك أن من يتولى مثل هذه المناصب والوظائف لا بد أن تعصف بحياته عواصف وتثور فيها زوابع متنوعة ومتلونة، وقد كان شيء من ذلك في حياه الشيخ، ومرجع ذلك إلى عده أسباب منها فيما أظن:

الأول: أن من ينتصب لمثل هذه المناصب ربما لا يكون أهلاً لها فيصبح مثاراً للازدراء والسخرية والتهكم من الناس.

الثاني: أن من يتولاها لا بد وأن يرضي القائمين على توليته، ولا يخالفهم لئلا يحيطون به.

الثالث: أن من يتولى مثل هذه المناصب لا بد وأن يكون عرضة للحسد من غيره.

وأنا بحسب ما وصلني من مكتوبات عن الشيخ يمكنني أن أقف مع ثلاثة مواقف للشيخ، كانت قد أثارت جدلاً في الأوساط العلمية والشعبية، لننظر بعد ذلك هل كان الحق له أم عليه. وهذه المواقف هي:

الموقف الأول: **تأييده للفتوى الترانسفالية**: التي أفتي فيها من قبل الشيخ محمد عبده. وتدور محاور هذه الفتوى على محورين، الأول: إباحة أكل ذبائح أهل الكتاب وإن لم تتوفر فيها شروط الذبح عندنا. الثاني: جواز لبس البرنيطة.

الموقف الثاني: **فتوى التجنيس**.

الموقف الثالث: **الإفتاء بجواز القراءة على الأموات**، إن قبل دفنهم أو أثناء المسير إلى الدفن أو حال الدفن.

هذه هي المواقف التي أريد الحديث عنها وإنما اقتصرت عليها لشيوعها أولا ولما أحدثته من ضجة ثانيا.

أولاً: **الفتوى الترانسفالية**:

وهي مقاطعه بإفريقية ورد منها سؤال للشيخ محمد عبده حول حل ذبائح أهل الكتاب التي لا تتوفر فيها شروط الذكاة عندنا، وتقوم هذه الفتوى على إباحة أكل ما يحطم الكتابي رأسه ثم يذكى من بعد(٨٧).

وأخذت هذه الفتوى تتدرج حتى سميت فتوى الموقوذه، ومفتولة العنق، جريا وراء إباحة ابن العربي المالكي أن يأكل المسلم من دجاجة لوى النصراني عنقها ثم طبخها.

وقد أجاز محمد عبده الأكل من ذبيحة أهل الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي يأكل منها الأحبار والرهبان وانتصر ابن عاشور لمحمد عبده، وأرسل له رسالة يؤيده فيها. يقول المنصف الشنوفي في أصداء هذه الفتوى: ولقد اغتنم الخديوي عباس حلمي هذه الفرصة للتشنيع على الأستاذ الإمام ونهضت لذلك الصحافة المصرية المناوئة للمصلح المصري كاللواء، والمؤيد، والظاهر، وشدت أزر عبده الأهرام، والمنار، والمقطم(٨٨).

أما في تونس فقد تصدى محمد النجار لهذه الفتوى، ورد عليها ردا علمياً محكما على صفحات مجلة السعادة العظمى في الأعداد من (٧-١٠) ولكن الذي آسف له أن الردود لم تصلني كاملة. ورد الشيخ محمد الخضر حسين فتوى ابن العربي على صفحات مجلته واختار التحريم(٨٩).

وقد عقد الشيخ رشيد، فصلاً كاملاً لهذه المسألة، وذهب مذهب الرجلين مع الزيادة في التوسعة بجعله حل الذبائح مطلقاً، ولا يشترط فيها ما اشترطه "عبده" من أن يأكل منها الأحبار والرهبان، وذكر أن ذلك تشديد لا مستند له(٩٠).

ويذكر الشيخ رشيد بأن علماء الأزهر ألفوا تأليفاً أسموه إرشاد الأمة الإسلامية إلى أقوال الأئمة في الفتوى الترانسفالية(٩١).

ومما يلفت النظر أنه وقع السؤال عن هذه المسألة بتونس قبل زيارة محمد عبده حيث نقل الشيخ محمد السنوسي في الرحلة الحجازية سؤال المشير أحمد باي الأول ملك تونس من عام ١٨٣٧م إلى ١٨٥٥م إلى الشيخ أحمد بيرم الرابع شيخ الإسلام الحنفي في ذلك الوقت وحاصل الفتوى عدم إباحة ذبائحهم إلا ما توافق مع شروط الذبح عندنا(٩٢).

وتقوم أسس الفتوى في هذه المسالة عند ابن عاشور على محاور أربعة كما أوضح ذلك أبو الحسن النجـــار متولي الرد عليها:

الأول: أن كلام ابن العربي الآنف الذكر في جواز أكل ما يفتل النصراني عنقه ثم يأكله(٩٣). مبني على قول الحكم وابن وهب – من علماء المالكية – حيث ذهبا إلى أن ما ذبح لغير الله، للكنيسة أو للمسيح، أنه يجوز أكله.

الثاني: الاستدلال بكلام منقول عن ابن الفرس عند قوله تعالى: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾[٥: المائدة]. قال: اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى: ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ**﴾ فلا خلاف في أنها حل لنا، وأما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير، فاختلف فيه: فذهب الأكثرون إلى أن ذلك من أطعمتهم، وذهب ابن عباس إلى أن الطعام الذي أحل لنا من ذبائحهم ما خيف منه استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه(٩٤).

الثالث: الاستنباط بالقاعدة الأصولية.

الرابع: أن تخريج الآية على أن طعام الذين أوتوا الكتاب معطوف على الطيبات عطف الجملة على الجملة يقتضي أنها غيرها(٩٥). ولعل من المفيد جدا أن نأخذ الجواب عن هذه المسألة من تفسير ابن عاشور حيث قال: "... ثم الطعام الشامل للذكاه إنما يعتبر طعاماً لهم إذا كانوا يستحلونه في دينهم ويأكله أحبارهم وعلماؤهم، ولو كان مما ذكر القرآن أنه حرمه عليهم؛ لأنهم قد تأولوا في دينهم تأويلات. وهذا قول مالك. وأرى أن دليله: أن الآية عمت طعامهم، فكان عمومها دليلاً للمسلمين، ولا التفات إلى ما حكى الله أنه حرمه عليهم، ثم أباحه للمسلمين، فكان عموم طعامهم في شرعنا مباحا ناسخاً للمحرم عليهم، ولا نصير إلى الاحتجاج (بشرع من قبلنا) إلا إذا لم يكن دليل على حكمه في شرعنا ..." اهـ. وإلى هنا والكلام لم يخرج به عن تأييد تلك الفتوى، والقول بمضمونها ثم أردف قائلاً: "... وقيل: لا يؤكل ما علمنا تحريمه عليهم بنص القرآن، وهو قول بعض أهل العلم، وقيل به في مذهب مالك، والمعتمد عن مالك كراهة شحوم بقر وغنم اليهود من غير تحريم؛ لأن الله ذكر أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرم عليهم الشحوم ..." اهـ.

فانظر إلى هذا المعتمد عند مالك، أليس يتناقص مع ذكره أعلاه من إطلاق الحل! ثم قال: "... ومن المعلوم أن لا تعمل ذكاة أهل الكتاب، ولا إباحة طعامهم فيما حرمه الله علينا بعينه، كالخنازير والدم، ولا ما حرمه علينا بوصفه الذي ليس بذكاة: كالميتة، والمنخنقة، الموقوذه، والمتردية، والنطيحة، وأكليه السبع، إذا كانوا هم يستحلون ذلك. فأما ما كانت ذكاتهم فيه مخالفة لذكاتنا مخالفة تقصير لا مخالفة زيادة، فذلك محل نظر، كالمضروبة بمحدد على رأسها فتموت، والمفتولة العنق فتمزق العروق، فقال جمهور العلماء: لا تؤكل. وقال أبو بكر بن العربي من المالكية: تؤكل. وقال في الأحكام: فإن قيل فما أكلوه على غير وجه الذكاة كالخنق وحطم الرأس فالجواب: أن هذه ميتة، وهي حرام بالنص، وإن أكلوها فلا نأكلها نحن، كالخنزير فإنه حلال لهم ومن طعامهم[٩٦]، وهو حرام علينا، -يريد إباحته عند النصارى- ثم قال: ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه؟ أو تأخذ طعاماً منه؟ فقلت: تؤكل؛ لأنها من طعامه وطعام أحباره ورهبانه، وإن لم تكن ذكاة عندنا، ولكن الله تعالى أباح طعامهم مطلقاً، وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا في ديننا..." اهـ.

وأشكل على كثير من الناظرين وجه الجمع بين كلامي ابن العربي، وإنما أراد التفرقة بين ما هو من أنواع قطع الحلقوم والأوداج ولو بالخنق، وبين نحو الخنق لحبس النفس ورض الرأس، وقول ابن العربي شذوذ[٩٧].

وهذا الذي ذكره ابن عاشور من شذوذ قول ابن العربي لا يبدو أنه مدعاة للرفض عنده؛ بدليل أنه لازال يقول بهذا الرأي، ولم يصرح بإبطاله وكذلك فإنه أعرب جملة ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ على أنها عطف على ما سبق[٩٨] ولا شك أن هذا الإعراب يذهب بهاء المعنى ونظم الكلام فإنه يصير التقدير: اليوم أحل لكم الطيبات وأحل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم فيصير الكلام مضطربا، ولذلك قال السمين في هذا الوجه: "وجوز أبو البقاء أن يكون مرفوعاً عطفا على مرفوع ما لم يسم فاعله وهو الطيبات، وجعل قوله: ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وهذا ينبغي أن لا يجوز البتة لتقدير ما لا يحتاج إليه من ذهاب بلاغه الكلام"[٩٩]. أما الشق الثاني من الفتوى الترانسفالية فهو قائم على إباحة لبس القلنسوة. وهذه الفتوى مبتناها على ثلاثة محاور كما يقول النجار:

"**الأول**: أن اللباس لا دخل له في الدين، وإنما يحرم منه ما كان من لباس الدين، كالزنار "لباس الكنيسة".

الثاني: اختلاف الشعوب في اللباس مع عدم اقتضاء ذلك الاختلاف في الدين.

الثالث: أن لباس النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عنهم كان موافقا للباس المشركين"[١٠٠].

وهذه المسالة مما عرض له الشيخ محمد السنوسي في الرحلة الحجازية، وجنح إلى أن لبسها ردة عن الدين، ثم نقل فتوى الشيخ محمد بن الخوجة الحنفي المتوفى سنة ١٩٠٧م القاضية بأن من لبسها، فقد كفر وخرج من الملة، ونقل كذلك بعضا من فتاوى وأقوال المالكيين التي فصلت في المسألة[١٠١].

ويحسن أن أنقل كلام السنوسي حين عرض عليه أن إسماعيل باشا وأبناءه يلبسون القلنسوة فقال لما علم ذلك: "فقضيت من ذلك عجبا وقلت: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[١١: الرعد]. كيف وهي من اللباس المختص بأهل الكفر، ولبسها ردة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بلغني عن أفراد كثيرين من أعيان المسلمين إذا حل الواحد منهم بلاد الكفر لبس برنيطة وانخرط في سلكهم، نعوذ بالله من هذا الظلال المبين، مع أني ما رأيت قط نصرانيا دخل إلى بلاد الإسلام، فلبس عمامة يطوف بها الأزقة، وإن هذا لمن موجبات ازدراء الإفرنج بالمسلمين؛ إذ يرونهم متهافتين على عوائدهم، وما كان من شعارهم، مع أن الواحد من النصارى إذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حل في غير أرضه يفتخر بالمحافظة على عوائده، وما كان شعار بلاده، إيذانا بأن لجنسه عوائد في نظام العالم، ولعمري إن المنسلخ عن عوائده سيما الراجع منها إلى الدين، لمن أسخف الناس عقلا، وإلا إن كنا نعتقد أن لهم عوائد يختصون بها، ولنا عوائد مثلهم، فما بالنا نؤثر عوائدهم ولا يؤثرون عوائدنا؟ وأنا أقول: ذلك في غير ما يعود بالمنفعة الدنيوية التي لا تمنعها الشريعة الإسلامية، وإلا فمن العقل أن يقتدي الإنسان بغيره فيما يعود عليه بالمنفعة، ولكن كثيراً ما رأيت في الأمم الشرقية المستضعفة التي لا يمنعها الدين في هذا الزمان، مصداق تقرير ابن خلدون في ولع المغلوب بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله، وعوائده. وهو تقرير مهم في الفصل الثاني من الكتاب الأول الذي تكلم فيه على أحوال العمران البشري في مقدمة تاريخه. وإني إن بساط هذا المبحث هنا خرجت عن الموضوع، ولكن عسى أن نجد محلا لإفراغ ما تكنه الصدور في صفحات تملؤها السطور"[١٠٢].

هذا الكلام حسن جدا من الشيخ عليه الرحمة، وأما ابن عاشور فقد خالف بفتواه ما انشرحت له صدور الأجلة انتصارا للشيخ محمد عبده، ولا ريب أن الفتوى في ذلك الزمان الذي يكون مرتدي هذا اللباس فيه حقيقا بالكفر؛ لأنه يعني انسلاخ صاحبه من حظيرة الإسلام، ورضاه بما عند الكافرين من الأحكام، هي فتوى الأجلة، ولذلك أفتى من أفتى بارتداده وكفره. وأما اليوم فإني لا أظن أن فاعلها يقصد بذلك الرغبة فيما عند الكافرين، وأن فعله كذلك موجب كفره، ولكنني أميل إلى أن لبس البرنيطة -هي الطاقية التي يلبس مثلها أحبار اليهود والمتدينون منهم- محرم في شريعة الإسلام يستحق فاعله الغضاضة والملام[١٠٣].

ثانياً: فتوى التجنيس:

لعل هذه من أشد العواصف التي عصفت بحياة الشيخ وهي أخطرها على الإطلاق؛ فإنها إن صحت –وأرجو أن لا تصح- طعنت في دين الشيخ ووطنيته.

ولعله من الجميل جداً أن يذب المرء عن حياة عالم من العلماء، ولكن لا ينبغي على متوخي مثل ذلك أن تحملهم العواطف على الإغضاء عن كثير من الحقائق، وقد رأيت حرص التونسيين على سلامة الشيخ مما نسب إليه؛ فلا يكاد أحد يترجم للشيخ يذكر شيئاً عن ذلك، ولم يصلني مما كتبه التونسيون - المتحدثون عن الشيخ – من ذكر شيء عن ذلك إلا ما ذكره الدكتور محمد السويسي الذي حاول تبرئة الشيخ وكذا ما كتبه الدكتور بلقاسم الغالي[١٠٤] وسأمر بذلك كله إن شاء الله تعالى ولكنني ينبغي أن أعرّف بهذه العاصفة وتاريخ هبوبها فأقول وبالله التوفيق:

التجنيس دسيسة استعمارية لإفقاد البلاد هويتها تمهيداً لسلخها عن دينها، وهو أسلوب خبيث استعملته فرنسا في بلاد تونس الإسلامية، ومعنى التجنيس كما حطت عليه الأقلام: هو انسلاخ من الجنس الذي ينتمي إليه الإنسان بحسب مولده ونشأته ودينه ونظام دولته، ثم اعتناق جنس آخر يختلف عنه تماما في الناحية الدينية، والانصهار في بوتقتــه كليا، والعمل على حمايته والمحافظة عليه[١٠٥].

وقد تم إصدار هذا القانون برغم المقاومة الوطنية التونسية له، وانسلاخ اليهود التونسيين عــن هــويتهم الفرنسية سنة ١٩١٠م[١٠٦] وبه فتح بــاب التجنــيس بالفرنسية لكل راغب من التونسيين في ذلك.

ولما رأى الفرنسيون عدم الجدوى من فتح هذا الباب تم إصدار قانون جديد في عام ١٩٢٣م يضيف إلى المتجنس شيئاً من الحقوق المادية ويحقق له بعض الرغبات[١٠٧].

ولقد قوبل هذا القانون بضراوة من الشعب التونسي المجاهد، ولعل الذي تزعم الحملة صد هذا القانون هو الحزب الدستوري الحر[١٠٨].

وقد وقعت حوادث جسيمة في أنحاء البلاد التونسية، ذكر جانــب كبير منها في كتاب صغيــر طبع سنة ١٣٥٢هـ بعنوان: "**الحملة الصليبية على الإسلام في شمال إفريقيا. مسألــة تجنس المسلمين بالجنسية**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرنسية. معلومات تولى تدوينها مكتب الأخبار التونسية، ونشرت أولا في صحيفة الفتح الإسلامية بالقاهرة"[١٠٩]. ويظهر أن هذه القضية أخذت تزول عن الأذهان شيئاً فشيئاً بسبب قلة المتجنسين من التونسيين، وذلك إلى عام ١٩٥١م، حيث حدثت ضجة هائلة عند تقديم الامتحانات في جامع الزيتونة في مواعيدها، ومحاولة بعضهم تأجيلها، وقيام ابن عاشور بالاستنجاد بالشرطة الفرنسية لجعل الامتحانات تقدم في مواعيدها، وفي هذه الأثناء فقط اتهم ابن عاشور صراحة بأنه أفتى بعدم رده المتجنس[١١٠].

وقد ظهر لي من خلال ما وصلني من كتب وأبحاث ودراسات عن هذه القضية أن صيغة الاستفتاء صيغت بأكثر من طريقة منها: حكم التجنيس بعامة، ومنها صياغة تقول: بحكم توبة المتجنس ورجوعه إلى جنسيته القديمة، ومنها حكم المتجنس الذي لا يزال يصلي ويؤدي ما عليه من الفرائض والأحكام هل يضره فعله ذلك.

ولا يستطيع المرء إلا أن يقول: إن مثل هذه الصياغات كلها تصب في طريق واحد وبخاصة أن المستعمرين الفرنسيين كانوا وراء مثل ذلك.

وإذ قد عرفنا شيئاً موجزا عن تاريخ هذه القضية فلا بأس أن نعرف ما موقع ابن عاشور من ذلك. سيما وأنه كان في عام ١٩٢٣م مفتياً مالكياً، ومن عام ١٩٣٢م–١٩٥١م كان شيخاً للإسلام.

ولتصور ذلك لا بد من الإصغاء إلى ما يقوله أحد شهود العيان في هذه الوقائع وهو أحمد توفيق المدني[١١١] حيث يقول متحدثاً عن مشايخ المجلس الشرعي الذين وقفوا حيال هذه الأزمة موقف الغريب الذي لم ير ولم يسمع يقول: "ما خاننا يومئذ إلا كبار المجلس الشرعي، ذهبت إليهم بنفسي واحدا واحدا، وكان بصحبتي الأخ المجاهد الكريم عثمان الكعاك[١١٢] الذي لعب دورا إيجابياً بذل فيه روحه وراحته، فكنا نقابل بالترحيب، ونقابل بالاحترام والتقدير، ونقول: مصابيح الظلام الذين نصروا الظلام وقاوموا النور– نقول لكم التجنيس حرام".

وقال بعضهم: وهو الشيخ محمد بن يوسف شيخ الإسلام[١١٣] إنه ردة لا ريب في ذلك، ولكننا لا نستطيع وبأي صفه من الصفات إعلان ذلك لا قولا ولا كتابة؛ فالتهديد الذي صدر منهم قاس شديد ونحن لا نستطيع أن نتمرد أي نهان في آخر عمرنا. فقلت محتجاً صاخبا. ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[١٣: التوبة].

قالوا: هذا امتحان من الله لنا، ونحن نعلم أننا نرتكب بسكوتنا إثماً عظيماً، ولكن الله يقول: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[١٩٥: البقرة]. وكان الجدال بيننا طويلاً وعنيفاً وهم مصممون على الموقف الذي ثبت لنا فيما بعد أنهم اتفقوا عليه وهم كارهون، عند من كانوا يسمونه سيد الحبيب باي[١١٤] خادم فرنسا المطيع"[١١٥].

ولعل هذه الشهادة من هذا المناضل عليه الرحمة تمثل أصدق شيء يمكن الاعتماد عليه، فالرجل كما جاء في ترجمته في تراجم المؤلفين: صادق الإسلام والوطنية، غيورا عليهما من المحبين للعلم وأهله.

ولكنني وقبل أن أغادر إلى نصوص أخرى حول هذا الموضوع الخطير أود أن أقف بعض الوقفات عند هذا النص.

١- أنه كان بعد عام ١٩٢٣م وقبل عام ١٩٢٩م، وقد كان الشيخ ابن عاشور مفتياً مالكياً، وكبير أهل الشورى المالكية.

٢- إنه من أعجب العجب أن يستشهد كبار المجلس الشرعي بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ على تواطئهم وخذلانهم للوطنيين، وسكوتهم عن منكر من أعظم المنكرات.

٣- السؤال الذي ينبغي أن نسأله: لماذا استمروا في وظائفهم ما داموا خائفين من الإفتاء؟ ألم يكن بمقدورهم أن يستقيلوا بدل أن يتحملوا وزر هذه الكبيرة.

٤- إن الجواب الذي أجابوه للسيد المدني من اعترافهم بأنهم يرتكبون إثماً، جواب لا يليق صدوره عن عالم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه هي الشهادة الأولى على هذه الواقعة. وينقل الدكتور السويسي عن جريده العصر الجديد العدد ١٦٣ جمادى الأولى عام ١٩٢٤م ما نصه: "تقول الجريدة طالما استفتينا على صفحات جريدتنا وفي نفس المكان المفتين الرسميين ببلدنا عن حكم الله في التجنيس، وطالما رغبناهم ورجوناهم في التفضل في الجواب، وبلغ بنا الرجاء إلى التوسل والتذلل، فناديناهم: يا علماءنا الأعلام، يا مصابيح الظلام، وحماة الملة، ورجاء الدين، وطالما ترقبنا الجواب أسابيع وشهورا، فلم يتفضل علينا واحد بكلمة ننشرها بياناً وبلاغاً للناس"[١١٦] وهذه شهادة معاصرة تؤول إلى ما آلت إليه الشهادة الأولى.

ونقطف مما ذكره مكتب الأخبار التونسية بعض الفقر: "فعلى إثر موت أحد المتجنسين بمدينة بنزرت، وامتناع الناس من دفنه في مقابر المسلمين، وقعت صدامات، رأى الفرنسيون أنها لا تحل إلا بعد أن يفتي مفتي البلدة الشيخ إدريس الشريف[١١٧] فأفتى: بأن المتجنس لا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين. فكانت هذه الفتوى نازلة على الحكومة نزول الصاعقة، ودفن ذلك المارق في مدافن النصارى الغرباء. دهش الجماعة من هذا الأمر ونقمت السلطة على فضيلة المفتي ووقع استنطاقه إرهاباً له وتخويفاً لغيره[١١٨]. ونالت قضية التجنيس بذلك صدمة وأية صدمة، ضاق بها صدر الحكومة، فأخذت تفكر في التخلص مما وقعت فيه، بسوء تدبيرها، ووجدت من الوزير الأكبر لسمو الباي وشيخي الإسلام، أكبر عون على حل هذا المشكل، فدبر ثلاثتهم مؤامرات ضد أميرهم ودينهم ووطنهم، فتواطؤوا على وضع سؤال يلقى من الحكومة على أعضاء المجلس الشرعي، فيقع الجواب منهم طبق رغبة حكومة الاحتلال، ولو أدى إلى انقراض جنسهم، وزوال ملك الإسلام، وشريعة الإسلام من هذه الديار، ... وعلى إثر ذلك أقام الحزب الدستوري قومته في مواجهة ذلك، وتوجهوا للوزير الأكبر واجتمعوا، وكان جوابه: إن مسألة بنزرت وفتوى مفتيها بعدم دفن المتجنس في مقابر المسلمين استاءت منها حكومة فرنسا أيما استياء، ولا يخفى عليكم أن دولة فرنسا هنا بمقتضى معاهدة مع أمير البلاد[١١٩]. وأمر واقع لا يسعنا إنكاره، ولا التعرض له بسوء، وهو احتلالها لبلادنا، وهذا الاحتلال يفرض علينا نحوها آدابا لا بد من مراعاتها، وإزالة كل ما يخدش فيها. ولما كانت فتوى مفتي بلد بنزرت قد اعتدت على تلك الآداب؛ لأنها عبّرت أن الجنسية الفرنسية شيء قذر لا يقبله المسلمون، ولا يدفنون من تلبس به في مقابرهم فيجب والحالة ما ذكر محو هذا الأثر السيئ الذي أحدثته هذه الفتوى في نفوس أبناء الدولة الحامية. وعبثا حاول أعضاء الوفد إفهامه أن المسألة دينية، وأنها فوق هذه الاعتبارات ... وبعد ذلك شاعت أراجيف مفادها أنه وقع سحب الاستفتاء، وبطل العمل به، وأنه سيبقى ما كان على ما كان عليه، إلا أن الحزب الدستوري علم من مصدر وثيق بأن الأجوبة على ذلك الاستفتاء سلمت جميعها من طرف المجلسين الحنفي والمالكي. ولم يشذ عن الجواب الذي يرضي الحكومة إلا الشيخ عبد العزيز جعيط من شيوخ الإفتاء المالكية، والشيخ حميدة بن مراد، والشيخ محمد ابن الخوجة من شيوخ الإفتاء الحنفي، فقد علق أولهم وهو المفتي المالكي قبول توبة المتجنس ورجوعه إلى حظيرة الإسلام على رجوعه إلى الأحكام الشرعية، والجنسية التونسية، وهو أمر مستحيل قانونا، وامتنع المفتيان الحنفيان من الموافقة على الاعتراف بقبول التوبة؛ لاستحالة رجوعه إلى أحكام الإسلام قانونا وأعلن طلبة جامع الزيتونة - ويقدر عددهم بنحو ثلاثة ألاف وخمسمائة طالب- أنهم قرروا الإضراب عن الدروس إلى أن يتخلى عن إدارة الكلية شيخ الجامع الحالي وهو شيخ الإسلام المالكي المسمى الطاهر ابن عاشور"[١٢٠].

وهذه الشهادة أيضا تؤول إلى ما آلت إليه الشهادتان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابقتان.

وإذا أردنا أن نستصدر حكما على ابن عاشور من خلال ذلك، كانت النتيجة معروفة وواضحة، ولكننا نحاول أيضا جمع أكبر ما يمكن أن يعيننا على هذه القضية، فمن هذا مثلا محاورة وقعت بين ابن عاشور، وأحمد توفيق المدني ذكرها محمد محفوظ في ترجمة الأخير يقول: "دعا الشيخ ابن عاشور في مكتبه بإدارة الجمعية الخلدونية، وذلك خلال ١٩٢٤م، دعا أحمد المدني، وعرض علية ترك السياسة مؤقتا، والسفر إلى القاهرة، أو دمشق للدراسة، دراسة جامعية، حتى النهاية، وقال له: ترجع بعد ذلك إلى تونس رجلا كاملا عالما. فقال: أنى لي ذلك، وأنا لست صاحب مال، وكيف أنفق على نفسي وأنا مملق ٠ قال: لاتخف، ولا تخش شيئا، فهناك من يتعهد لك بالنفقة، ومن يرعاك، ويكفيك كل حاجاتك. قل: إنك تقبل السفر من أجل الدراسة، وستجد من يمدك بالمال، ويهيئ لك في القاهرة، أو دمشق، سبيل الحياة الكريمة، فوقف المدني وتقدم خطوة نحو الباب، وقال للشيخ: قل للذين أرسلوك أيها الأستاذ، إن هذا الشخص الضعيف الذي يقف الآن أمامك لا يباع ولا يشترى، ولا يساوم كغيرة من الرجال، أنا مكافح مناضل، سأبقى هنا في مركز النضال والكفاح، وما على الذين أرسلوك إلا أن يزجوا بي من جديد في السجن. أو يبعثوا بي إلى المنفى، أو حكم الإعدام، فأموت شهيدا في سبيل الله، أما أن أخون وأتراجع وأستجدي، فذلك لا يكون إطلاقاً. ووقف الشيخ شاحباً متجهماً، وتقدم نحوه فقبل جبينه، وهو يقول: قد كنت أعلم أنك تقول هذا وأكثر من هذا. وقد قلت لهم: إن هذا الشاب من طينة أخرى، قالوا: جرّب على كل حال. اذهب الله يحفظك ويسترك، وما عند الله خير وأبقى. وخرج من عنده وقد أيقن أن مدة وجوده بتونس أصبحت محدودة، فازداد شدة وحدة، وأقدم مرتاحا مطمئنا على أن النفي مصيره المحتوم"[١٢١].

إن هذا الموقف من ابن عاشور خطير جدا، وهو يفضي إلى تعاونه مع السلطة الاستعمارية في محاولة إجهاض حركات النضال متمثلاً بإخراج الزعماء النضاليين من تونس، وقد يلوح من بين السطور أن ابن عاشور في هذا الموقف وقع فريسة المنصب فلم يقدر على دفع ما أوكل إليه، بدليل تلك العاطفة الثائرة منه في نهاية المحاورة. وهذا لم يكن ليعفيه من المسؤولية، لكنه قدر الله تعالى المحتوم. على هذه الأمة الإسلامية المباركة. وغفر الله تعالى لابن عاشور فما كان ينبغي أن يقف هذا الموقف حتى لو نشّروه بالمناشير.

ومن هذه المواقف أيضاً، ما يقول الصادق الزمرلي في كتابه (أعلام تونسيون): "أوفدت الحكومة الفرنسية في عام ١٩٣٦م (أرمان غيّون) إلى تونس لانتهاج سياسة جديدة، مرتكزة على الانفراج السياسي، والتقارب مع الطبقات التونسية النيرة، واستئناف الحوار معها، قصد تحقيق ما يصبو إليه الجميع من هدوء واطمئنان. والجدير بالملاحظة: أن هذا التقارب الذي كان يرغب فيه ممثل فرنسا الجديد، لا يمكن أن يجد من يتحمس له أكثر من الشيخ الطاهر بن عاشور، المقتنع منذ أمد بعيد بضرورة انتهاج سياسة متحررة، كفيلة باستمالة العناصر التي بقيت إلى حد ذلك التاريخ في حالة انتظار أو تردد. ولذلك فقد نشأت بين الرجلين علاقات متواصلة ووثيقة"[١٢٢].

واستمع كذلك إلى ما يقوله محمد محفوظ في ترجمة إدريس الشريف: وفي السنوات الأخيرة من حياته دفعه دينه، ووطنيته، للتشهير بانعقاد المؤتمر الافخارستي بتونس، من القساوسة والرهبان المسيحيين، بتأييد من السلطة الاستعمارية، وخاب ظنهم في إعادة السكان إلى حظيرة المسيحية، كما كانت في عهد الرومان، وكان انعقاد هذا المؤتمر المتحدي الفاشل فيما بين ١١–١٧ أيار عام ١٩٣٠م[١٢٣].

فإذا علمت أن ابن عاشور في ذلك الوقت كان يتربع على منصب كبير أهل الشورى المالكية، ازددت عجباً في أن الرجل لم يذكر عنه ما يفيد أنه اعتـــرض على هذا المؤتمر التنصيري الخبيث ولو بكلمة واحدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآن، لنعد إلى الدكتور السويسي، الذي ذكر أن حمادي الساحلي أخرج وثيقة، يمكن أن تكون وثيقة إعلان براءة الشيخ مما نسب إليه، لنرى أهي كما يقولون أم لا؟

يقول الدكتور السويسي: إن هذا التقرير المشار إليه بالوثيقة تضمن عشرين صفحة كشفت عن حقيقة الفتوى، وأسبابها، وجاء فيه: إثر الحوادث التي جدت بتونس وقتئذ، بسبب اعتراض الوطنيين التونسيين على دفن المتجنس بالمقابر الإسلامية، ثم الاتفاق بين المقيم المذكور، وبين الوزير الأكبر الهادي الإخوة[١٢٤] على توجيه سؤال إلى المجلس الشرعي[١٢٥] ونص السؤال حسبما ترجمه الساحلي: إذا اعتنق شخص جنسية يختلف تشريعها عن أحكام الشريعة الإسلامية، ثم حضر لدى القاضي ونطق بالشهادتين[١٢٦]، وأعلن أنه مسلم، وأنه لا يعترف بغير الإسلام ديناً، هل يحق له طول حياته أن يتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المسلمون؟ وهل يحق له بعد وفاته أن يصلى عليه صلاة الأموات، أو أن يدفن في مقابر المسلمين[١٢٧]؟

هذا هو نص السؤال وأترك أنا التعليق عليه إلى ما بعد الإجابة المذكورة في نص الوثيقة، وما استنتجه منها الدكتور السويسي، حيث قال:

أما جوابه فقد أكد المقيم العام الفرنسي السالف الذكر أنه كان كما يلي: إن رجال الشرع التابعين للمذهب الحنفي، قد اقتصروا على الإجابة بالإثبات دون زيادة أو نقصان، وأما أعضاء المجلس الشرعي المالكي فقد أضافوا إلى النطق بالشهادتين، كشرط لقبول توبة المتجنس قيدا آخر: وهو تصريحه لدى القاضي بالتخلي عن الجنسية التي اعتنقها، وعندئذ يحق له أن يدفن في مقبرة المسلمين. وأضاف أحد أعضاء المجلس المالكي[١٢٨] على ذلك قوله: ينبغي أن تتمثل توبة المتجنس في الإقلاع عن الامتيازات التي تحصل عليها بموجب جنسيته الجديدة. يقول السويسي: إن هذه الملاحظة التي أضافها الشيخ جعيط، كانت لزيادة تفسير معنى التخلي عن الجنسية، والتأكيد على ذلك، وإلا فإنه بمجرد خلع التونسي لجنسيته الفرنسية تنقطع عنه جميع الامتيازات التي حصلت بسببها. ويذكر أيضاً: أن المقيم الفرنسي علق على هذه الفتوى بقوله: يتعذر قطعاً استغلال الجوابين، فلو كانت الفتوى المالكية مماثلة للحنفية لنشرتهما، ولكن نص الفتوى المالكية يجعل من المستحيل الإقدام على نشرهما، أضف إلى ذلك، أن الفتوى الحنفية ليست ذات قيمة في حد ذاتها؛ لأن الأغلبية الساحقة من الشعب التونسي تنتمي إلى المذهب المالكي.

هذا هو نص الفتوى، ونص الجواب، ولكن الذي يهمنا ما أفاده السويسي من خلال السؤال والجواب، استمع إليه وهو يقول: لقد برزت الحقيقة سافرة، وتجلى بوضوح سبب عدم نشر الفتوى على لسان ممثل فرنسا، وبرِّئ الشيخ ابن عاشور مما نسب إليه ظلماً، براءة الذئب من دم ابن يعقوب، ولو كان هذا بعد التحاقه بالرفيق الأعلى[١٢٩].

وبعد أن نقل الدكتور بلقاسم الغالي بعض ما يتعلق بهذه الوثيقة عن السيد حمادي الساحلي، قال بعد أن ذكر بعض ما يتعلق بمآثر ابن عاشور الإصلاحية، وانتشار صيته في الآفاق الإسلامية: "... ورغم حجب الفتوى من قبل المقيم العام لعدم استجابتها لمطامحه فإن الشيخ ابن عاشور قد اتهم تهمة لوثت سمعته، وشككت في دينه ووطنيته، ونالت من نزاهته وإخلاصه، وجعلته في صعيد واحد مع المتواطئين مع المستعمر ... بينما المجلس الشرعي المالكي برئاسة شيخ الإسلام المالكي نص صراحة على أنه يتعين على المتجنس عند حضوره لدى القاضي، لا فقط النطق بالشهادتين، بل أيضا التصريح في نفس الوقت بأنه يتخلى عن الجنسية التي اعتنقها. فهل يبقى بعد هذا البيان بيان آخر؟ وهل يبقى مجال لاتهام شيخ الإسلام أو المجلس الشرعي، بعد أن شدد النكير على المتجنس؟ وبخاصة الإضافة التي أضافها الشيخ محمد جعيط التي تؤكد على أنه:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينبغي أن تتمثل توبة المتجنس في الإقلاع عن الامتيازات التي تحصل عليها بموجب جنسيته الجديدة. فبمثل هذا التحفظ الوارد في الفتوى يبرأ أعضاء المجلس مما نسب إليهم بغير دليل، ولو افترضنا أن هذه الفتوى صدرت عن الشيخ ابن عاشور فلِمَ لَمْ تنشر في الصحافة ولو كانت الموالية لفرنسا؟ وهي ستكون دعما لها ومعززة لجانبها، تحقق بها بغيتها ... ولقد بقي الغموض يكتنف تلك القضية الشائكة إلى أن ظهر العدد الأول من مجلة وثائق التي يصدرها المركز القومي الجامعي للتوثيق العلمي والتقني، وقد تضمن من بين ما احتوى عليه من وثائق تاريخية على غاية من الأهمية تتعلق بموضوع التجنيس وهي تتمثل في: تقرير رسمي مؤرخ في ٢٩ ابريل ١٩٣٣م، وموجه من المقيم العام الفرنسي بتونس (منصورون) إلى وزير الشؤون الخارجية بباريس. وهذه الوثيقة التي نشرها الأستاذ حمادي الساحلي بتاريخ ١٧ماي ١٩٨٥م أي بعد موت الشيخ ابن عاشور باثنتي عشرة سنة ... قد أثبتت براءة الشيخ من فتوى التجنيس، وكشفت اللثام عن فتوى ردة المتجنس، وما حف بها من ظروف وملابسات، ومن ساهم فيها ومن امتنع عن التوقيع عليها من أعضاء المجلسين"[١٣٠].

ثم يختم السيد الغالي هذا الذي ذكره بقوله: "... ولكن شيخ الإسلام صبر على هذا الامتحان العصيب، الذي امتد على مدى ثلاثة عقود أو أكثر، ولم يهن عزمه، ولم يضعف، ولم ينجر إلى منطق المشاحنات والاتهامات الصبيانية، التي وجهت إليه. لقد واجه الحملات العنيفة المتكررة بقوة إيمان وصمود، قلّ نظيره بين الشخصيات العلمية. وهي حملات وصلت في أحيان كثيرة إلى حد التجني والتشكيك، فلم يتهرب من المسؤولية، ولم يصدر بيانا ينفي فيه ما وقع، أو يضع المسؤولية على أطراف أخرى، ولم يلمح إلى أحد، ولا قرأنا في مؤلفاته شكوى من طرف من أطراف الصراع. بل ترك الإشاعة تعمل عملها إلى أن ظهر صوت الحق، وأبطل دعواها. فلله ما أعظم الرجال وما أقدرهم على تحمل المحن"[١٣١].

ولقد نقل السيد عبد الله الريس شيئا مما يتعلق بهذه القضية، وخلص إلى أن ابن عاشور رحمه الله تعالى، وإن كان مظلوماً فيما نسب إليه، إلا أنه يتحمل جزءاً من المشاركة في إشاعة هذه الفتوى بعدة أمور:

١- أنه سكت عن موضوع الفتيا في موضوع التجنيس.

٢- أنه حين أشيعت عنه، لم يرد عليها ويكذبها، ويثبت خلافها، بل سكت، وكأنه أراد أن تكون له يد عند الفرنسيين.

٣- أن ابن عاشور، تتعين عليه الفتيا في هذه المسألة فهو رئيس المجلس الشرعي المالكي، وأكبر العلماء في ذلك العصر، فلا يجوز له السكوت[١٣٢].

وإني بعد أن نقلت أقوال المتقاولين في هذه القضية بأمانة دون انحياز لرأي على آخر، لأرجو أن أكون وضعت القارئ الكريم على الحقيقة التي يمكن أن يتبينها بنفسه. والله تعالى الموفق.

هذا وقد طول في مجلة المنار الحديث أخذا وردا حول المسألتين السابقتين وذكر نصوص وآراء المتقاولين في هاتين المسألتين، ومن ضمن ما ذكر جوابا عنونه بـ (جواب العالم التونسي) أغلب الظن أن المقصود به ابن عاشور رحمه الله[١٣٣]. وأنا ليس من غرضي في هذا البحث سوى تسليط الضوء على تلك المواقف، وليس المحل لمناقشة آراء المتقاولين في هذه المسائل.

ثالثاً: الإفتاء بجواز القراءة على الأموات:

سواء حال موتهم، أو قبل الدفن، أو أثناء المسير بالجنازة، أو عند الدفن.

وقد نشر هذا الإفتاء في جريده البصائر عن جريده الزهور التونسية، وذلك في عدد البصائر ١٥ من السنة الأولى ٢٥ محرم ١٣٥٥هـ، الموافق ١٧ إبريل ١٩٣٦م، ص٣،٦. وقد آثار هذا الجواب المتساهل من ابن عاشور[١٣٤] حفيظة عالمين ومجاهدين من علماء ومجاهدي الجزائر، هما: الشيخ عبد الحميد بن باديس،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، حيث تصدى الأول للرد على فتوى ابن عاشور في أكثر من أربعه أعداد، من أعداد جريده البصائر وكانت ردود الشيخ ابن باديس معنونة بـــ (شيخ الإسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويغري السلطة بالمسلمين)! وذلك بدءاً من العدد ١٦ عام ١٩٣٦[١٣٥]. وقد أحسن ابن باديس في الجواب على فتوى الشيخ.

وأما البشير الإبراهيمي، فقد كتب ردا على الشيخ في جريده البصائر عدد (٢٠) من السنة الأولى عام ١٩٣٦م، ولم يصلني من الجريدة ما يذكر فيه باقي الرد، وكان الجزء الأول معنونا تحت عنوان (أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين) وقد قسى فيه البشير على ابن عاشور قسوة بالغة.

ومن العجيب في هذا الشأن: أن البشير الإبراهيمي في عدد البصائر (٤٤) سنة ١٩٤٨م قد امتدح ابن عاشور امتداحاً عظيماً، حيث قال في طالعة امتداحه: الأستاذ الكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره[١٣٦]. ونحن إذا أردنا استصدار رأي بناءً على ما سبق، إذا أردنا ذلك، ونحينا أقوال ابن باديس والبشير، وغيرهما، عناية بقاعدة الجرح والتعديل الرائعة التي سطرها يراع العلم تاج الدين السبكي في الطبقات[١٣٧].

أقول إذا نحينا أقوال المعاصرين الطاعنين في ابن عاشور، وأضفنا إلى ذلك إحسان الظن بابن عاشور فإن ظننا لا يتجاوز قولنا: (إنه رجل علم وليس رجل دعوه) وكل ميسر لما خلق له والله أعلم.

المبحث الرابع
كتاباته ومؤلفاته

أولاً: مؤلفاته المطبوعة:

١. أصول الإنشاء والخطابة. طبع سنة ١٩٢١م[١٣٨].
٢. أليس الصبح بقريب. طبع في تونس عن الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٦٧م ثم أصدرته ثانياً عام ١٩٨٨م[١٣٩].
٣. التحرير والتنوير، وسماه ابن عاشور في مقدمته: بـــ (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) واختصره بالاسم أعلاه. وهذا الكتاب أشهر كتب ابن عاشور وأكبرها، وهو يعد من الموسوعات الضخمة في تفسير القرآن الكريم. صدر عن الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م.
٤. حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول. طبع الكتاب بمطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٤١هـ[١٤٠].
٥. جمع وتعليق على قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق. طبع بدار العرب بتونس سنة ١٩٢٩م[١٤١].
٦. قصة المولد النبوي الشريف. طبع بتونس سنة ١٩٧٢م[١٤٢].
٧. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة فـــي الموطأ. طبع الكتاب بتونس.
٨. مقاصد الشريعة الإسلامية. طبع عدة طبعات أولاها في سنة ١٩٤٦م عن دار الاستقامة بتونس وآخرها عن دار القلم بدمشق بتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة[١٤٣].
٩. موجز البلاغة. طبع سنة ١٩٣٢م[١٤٤].
١٠. النظـــر الفسيح عند مضائق الأنظـــار في الجامع الصحيح. صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس سنة ١٩٧٩م.
١١. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. طبع عدة طبعات أولاها عن الشركة التونسية سنة ١٩٨٥م موآخرها عن دار النفائس بعمان الأردن بعناية محمد الطاهر الميساوي[١٤٥].
١٢. الوقـــف وأثره في الإسلام. نشر في مجلـــة الهداية الإسلامية بالقاهرة في المجلد التاسع، الجزء الرابع، ص٢٤١-٢٥٦، وطبعت بتونس مجموعة بعناية علي الرضا الحسيني[١٤٦].
١٣. ديوان بشار، جمع وتحقيق وشرح. نشر الشركة التونسية، سنة ١٩٧٦م في أربعة أجزاء[١٤٧].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤. الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق وتعليق. طبع الدار التونسية للنشر[١٤٨].

١٥. سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن السراج. تحقيق، طبع الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٠م[١٤٩].

١٦. ديوان النابغة، جمع وشرح وتعليق. طبع الشركة التونسية للتوزيع، سنة ١٩٧٦م[١٥٠].

١٧. نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم. صدر عن المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤هـ[١٥١].

١٨. شرح وتعليق على قلائد العقيان للفتح بن خاقان وعلى شرح ابن زكور له. طبع في الدار التونسية سنة ١٩٨٩م[١٥٢].

١٩. اللفظ المشترك، نشر بمجلة الهداية بالقاهرة المجلد السادس[١٥٣].

٢٠. أخطاء الكتّاب في العربية. وهي رد على مقال بعنوان إصلاح اللسان لبي يعلى الزواوي، نشرته جريدة البصائر في العدد ٨٤، ص٦. ومقال ابن عاشور هذا نشر في المجلة الزيتونية، المجلد ٣، عدد ٢، ص١٣٤-١٣٦[١٥٤].

٢١. طريقة من شعر العرب في توجيه الخطاب إلى المرأة. نشرت في المجلة الزيتونية، المجلد ٤، العدد ٩، ص٢٠٧-٢١٣[١٥٥].

٢٢. الجزالة. نشرت في المجلة الزيتونية، المجلد ٦، العدد ٩، ص٣٤٤-٣٤٥[١٥٦].

٢٣. تحقيقات وأنظار في القران والسنة، جمع ونشر ابنه عبد الملك. طبع الكتاب في تونس.

٢٤. شرح المقدمة الأدبية من شرح المرزوقي على الحماسة. طبع في تونس سنة ١٩٥٨ م، وفي تونس/ ليبيا سنة ١٩٧٨م[١٥٧].

٢٥. صوغ (مفعلة) من أسماء الأعيان الثلاثية مما وسطه حرف علة، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦١م، مجلد٣٦، ص٣٦-٤٢ وما بعدها.

٢٦. تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح تأليف احمد بن يوسف اللبلي نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٢م، مجلد ٣٧، ص١٩٩ وما بعدها.

٢٧. نظرة في كتاب الجامع الكبير لابن الأثير، نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة١٩٦١م، مجلد ٣٦، ص٦٧٢ وما بعدها.

٢٨. تكملة وتقفية للتعريف بكتاب تحفة المجد الصريح، نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٣٧، ص٦٩٢ وما بعدها.

٢٩. المترادف في اللغة، نشر في الجزء الرابع من المجلد ٣٧، سنة ١٩٦٢م، ص٢٤١ وما بعدها.

٣٠. نظره في الكتاب المعنون بعنوان: (مقدمه في النحو المنسوب للإمام خلف الأحمر) نشر في عددين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٣٨، ص٥٧٦ وما بعدها. وفي المجلد ٣٩، ص١٥٣ وما بعدها.

٣١. كلمة (كل) حقيقة في الكثرة، أيضاً مثل الشمول نشر بمجمع اللغة بالقاهرة، ج٨، سنة ١٩٥٥م، ص١٩٣ وما بعدها.

٣٢. الصوت المجسد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ٨/١٩٥٥، ص١٩٦ وما بعدها.

٣٣. قولهم "كان مما يفعل كذا" نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، مجلد ٩، ص١١٦.

٣٤. نظرة في كتاب الجامع الكبير لابن الأثير نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٣٦، سنة ١٩٦١م، ص٦٧٢ وما بعدها.

٣٥. تكملة وتقفية للتعريف بكتاب تحفه المجد الصريح نشر في الجزء الرابع من العدد السابق.

٣٦. كلمة (كل) حقيقة في الكثرة، أيضاً مثل الشمول، نشر بالمجلة الزيتونية، المجلد ٢، العدد ٩، ص٧٦-٧٩[١٥٨]. سنة ١٩٥٥م، ص١٩٣وما بعدها.

٣٧. فرق لغوي مفعول عنه (الضر والضر) نشر في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، مجلد ٨، سنة ١٩٥٥م، ص٤٨٤ وما بعدها.

٣٨. تصحيح أخطاء وتحاريف في طبعه جمهرة الأنساب لابن حزم نشر في المجلة الزيتونية، الأعداد: ٣٧، ٥٧، ٦٠ على التوالي[١٥٩].

٣٩. تحقيق مسمى الحديث القدسي، نشر بالمجلة العلمية للكلية الزيتونية في ثوبها الجديد العدد الأول من السنة الأولى عام ١٩٧١م، ص٤٣ وما بعدها.

ثالثاً: ومن كتبه المخطوطة:

١. أصول التقديم في الإسلام.
٢. أمالي على دلائل الإعجاز[١٦٠].
٣. أمالي على مختصر خليل.
٤. آراء اجتهادية[١٦١].
٥. تراجم بعض الأعلام.
٦. تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب لابن السيد البطليوسي مع شرح أدب الكتاب.
٧. تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بالمقدمة في النحو.
٨. تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع.
٩. تعاليق على المطول، وحاشية السيالكوتي.
١٠. شرح معلقة امرئ القيس.
١١. تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي[١٦٢].
١٢. شرح ديوان الحماسة[١٦٣].
١٣. تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للطبيب ابن زاهر.
١٤. كتاب تاريخ العرب.
١٥. جمع وشرح ديوان سحيم.
١٦. الفتاوى.
١٧. قضايا وأحكام شرعية.
١٨. غرائب الاستعمال.
١٩. مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد واللامع العزيزي.
٢٠. مسائل فقهية وعلمية تكثر الحاجة إليها ويعول في الأحكام عليها.
٢١. رسالة القدرة والتقدير أو(رسالة القضاء والقدر) ذكرها ابن عاشور في تفسيره ولم أجد من أشار إليها ولا أدري هل طبعت أم لا تزال مخطوطة أم أنها لم تؤلف أصلاً[١٦٤].
٢٢. كتاب المعجزات. ذكره ابن عاشور في تفسيره[١٦٥] ولم يذكره أحد ولا أعلم عنه شيئاً.
٢٣. الحكمة الإلهية من رياضة الرسول ﷺ نفسه بتقليل الطعام، ذكره ابن عاشور في التفسير[١٦٦] ولم يذكره أحد ولا أعلم عنه شيئاً.
٢٤. رسالة في النسب النبوي. ذكرها ابن عاشور في التفسير[١٦٧] ولم يذكرها أحد ولا أعلم عنها شيئاً.

هذا ما يتعلق بالمكتوبات التي وصلني خبرها، أو اطلعت عليها، وقد كان الشيخ يكتب في عدة مجلات، سواء في القطر التونسي أم خارجه، ذكر عدة منها السيد عبد الله الريس وهي: مجلة السعادة العظمى في تونس، ومصباح الشرق، والمنار، والهداية الإسلامية، وهدي الإسلام، ونور الإسلام، في مصر، والهداية الإسلامية في بغداد، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجلة الراديو والسينما، والثريا، والزيتونة، ونشر الجمعية الخلدونية، وجريدة الزهور وجريدة حبيب الأمة، ولسان الشعب، والنهضة، والزمان، والأسبوعية، وكلها تونسية. وجريدة النجاح الجزائرية[١٦٨].

وذكر السويسي جريدة الوزير وجريدة العمل وجريدة الصباح[١٦٩].

مصادر ترجمه ابن عاشور وتعريف موجز بهذه المصادر:

١) عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي من ص٦٢٧- ٦٣٢.
ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة كون المؤلف ممن عاصر الشيخ ابن عاشور وصارت بينهما مراسلات ومحاورات على صفحات الجرائد والمجلات.

٢) تونس وجامع الزيتونة للشيخ محمد الخضر حسين، ص١٢٣-١٢٦. وتكمن أهمية الكتاب في أن الشيخ الخضر كان على علاقة وطيدة بالشيخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عاشور واشتركا معا في التدريس بالزيتونة، علاوة على أن الشيخ الخضر يعد من أقران ابن عاشور في العلم والفضل.

٣) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة. والكتاب يقع في ثلاثة مجلدات، ولعله من أوسع ما ألف عن ابن عاشور حياته وفكره وبرنامجه الإصلاحي، ويعد الكتاب في جزئه الأول وثيقة مهمة في التعرف على حياة ابن عاشور من جوانبها المختلفة، والكتاب جهد ضخم من تلميذ وفيّ نجيب. وقد طبع في قطر على نفقة الشيخ خليفة بن حمد رئيس الدولة وذلك في سنة ٢٠٠٤م.

٤) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره للدكتور بلقاسم الغالي، وهذا الكتاب في نظري من أدق ما قرأت عن حياة الشيخ ابن عاشور ولذلك كان مصدراً مهماً للدكتور ابن الخوجة في كتابه السابق الذكر، والكتاب وافر المصادر المتنوعة المشارب؛ لذلك فهو من المصادر الضرورية للحديث عن حياة ابن عاشور. وقد طبع الكتاب في دار ابن حزم ببيروت سنة ١٩٩٦م.

٥) محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه. لإياد خالد الطباع. والكتاب موجز جدا، ويتميز باطلاع مؤلفه على بعض الوثائق الخاصة بابن عاشور من مجمع اللغة بدمشق، علاوة على حسن الأدب وجودة السبك وجمال الاختصار. واطلاع مؤلفه على الكتب المتعلقة بموضوعة من حيث طباعتها، وأماكن نشرها، حيث أجاد وأفاد. والكتاب طبع ضمن سلسلة علماء ومفكرون معاصرون التي تصدرها دار القلم بدمشق سنة ٢٠٠٥م.

٦) مجلة جوهر الإسلام، حيث صدر العدد المزدوج ٣-٤ من السنة العاشرة سنة ١٩٧٨م. خاصا بحياة الشيخ بن عاشور، وهو عدد غني بالمداخلات التي أشادت بجهود الشيخ وفكره ومؤلفاته[١٧٠].

٧) الأعلام لخير الدين الزركلي ١٧٤/٦ ط٦. والكتاب موسوعة معرفية لا يستغني عنها باحث، والحديث فيه عن ابن عاشور كان مختصراً جداً.

٨) تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ ٣٠٤/٣-٣٠٩. والكتاب مصدر مهم كونه من كتب التونسيين وقد جمع فيه تراجم كثيرة لكثير ممن عاصر ابن عاشور، ويمكن للباحث أن يطلع على تفاصيل مهمة من خلال تلك التراجم.

٩) الحركة الأدبية والفكرية في تونس، لمحمد الفاضل ابن عاشور، وهو من الكتب الخاصة جداً؛ إذ يكتسي أهمية بالغة كون مؤلفه أحد أبناء الشيخ المترجم له، وقد سلط في هذا الكتاب وكتاب آخر اسمه تراجم الأعلام، سلط الضوء على جهود والده في المؤتمرات العلمية وأشار إلى تحقيقاته اللغوية والشرعية[١٧١] وقد ذكر والده في مواضع متعددة من الكتاب منها: ص٧٥، ٨٢، ٨٣، ٨٩، ٩٤، ، ١٠٥، ١١٤، ١٣٠، ١٤٣، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠ وغيرها.

١٠) تراجم الأعلام لمحمد الفاضل ابن عاشور، وقد سبقت الإشارة إليه في المصدر السابق

١١) مجموعه أبحاث ملتقى الإمام بن عاشور المنعقد في تونس ١٩٨٥م وصلني منها ما يلي:

أ. محمد الطاهر ابن عاشور إمام الشريعة والأدب في عصره لمحمد عبد المنعم خفاجي.

ب. عائلة ابن عاشور لمحمد الطاهر المعموري.

ج. محمد الطاهر بن عاشور الحافظ الحجة للقاضي محمود شمام.

د. محمد الطاهر ابن عاشور رائد الفكر الإسلامي لبلقاسم بن حسن.

هـ. محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر للويسي.

١٢) منهج ابن عاشور في التفسير للصحبي بن مسعود.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣) المصادر المعرفية لابن عاشور في تفسيره من خلال سورة آل عمران لخميس زهمول.

١٤) النشـــرة العلمية للكلية الزيتونـــة، عدد ٢-٣، ص٢٢٣–٢٢٧. مقال لمحمد الحبيب بن الخوجة.

١٥) منهج ابن عاشور في التفسير، لعبد الله الريس. وهي رسالة ماجستير قدمت بجامعة الإمام محمد ابن سعود بالرياض. وكان القسم الأول منها خاصا بترجمة ابن عاشور، ويتميز الكتاب في هذا الجانب بأن صاحبه رحل من السعودية إلى تونس والتقى عائلة ابن عاشور وبعض من لهم به صلة.

هذه أهم المصادر المتوفرة التي وقفت عليها في ترجمة ابن عاشور.

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد أن مَنَّ الله تعالى علي بإتمام هذا البحث الذي أرجو أن يكون نافعا، وأرجو أن أكون قد أمطت اللثام فيه عن شخصية هذا المفسر الكبير، بما يجعلها واضحة بينة لكل من أراد التنور بأحوال العلماء. وبعد هذا لا بد لي من تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- إن في الكشف عن شخصية ابن عاشور ما يفتح الآفاق للتعرف على طرائق العلم والمعرفة من خلال تجربته الشخصية.

٢- إن دراسة تاريخ ابن عاشور مفيدة غاية الفائدة؛ إذ هي تطلعنا على حياته الشخصية والمجتمع الذي عاش فيه.

٣- كشفت هذه الدراسة عن مدى تفاعل ابن عاشور بما حوله وبمن حوله.

٤- أظهرت الدراسة أنواعاً مختلفة من المصادر والكتب والدراسات التي ربما تكون في محل النسيان عند بعض الدارسين، سواء منها ما تعلق بما قرأه ابن عاشور، أو بما كتب عنه، مما يشكل زاداً كبيراً معرفياً للباحثين.

٥- إن بن عاشور رحمه الله تعالى كان عالماً كبيراً، مثابراً صابراً، ولكنه كان غافلاً عن أحوال الناس وهمومهم إلا في أحوال نادرة.

التوصيات:

١- أوصي أولا بان لا تكون مثل هذه البحوث فاتحة للتقليل من شأن العلماء المتقدمين الذين أفضوا إلى الله تعالى بما عملوا.

٢- أوصي بضرورة أخذ العبرة من أحوال السابقيـــن بتعزيز ما مضى من الايجابيات، والبعد كل البعد عن السلبيات.

٣- أوصي بضرورة أن تكون هناك مساقات جامعية تعنى بدراسة تراجم العلماء حتى ينهض الجيل الحالي بما يتعـــرف إليه من أحوال السابقيـــن وتراجمهم.

٤- هذا وبالله تعالى التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) كان إنشاء الجمعية ما بين ١٨٩٧م- ١٩١١م

(٢) ابن عاشـــور، محمد الفاضـــل (ت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار العربية للكتاب، تونس، ص٥٧-٥٨. وانظر: عمار، المختار بن أحمد، **محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥م، ص١١ وما بعدها. وحسين، محمد الخضر (ت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)، **تونس وجامع الزيتونة**، نشر علي رضا التونسي، ١٩٧١م، ص١٣٣- ١٤٥.

(٣) خير الدين التونسي، السياسي المصلح والوزير المتوفى سنة ١٣٠٨هـ، رائد الإصلاح التونسي الأول، وكتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، أظهر فيه تأثره بأنصار التنظيمات الخيرية من الأتراك، وبالشبان الأتراك، وبآراء رفاعة الطهطاوي، كما يبدو تأثره بالمفكرين الغربيين كتيار مونتسيكو وستيوارت ميل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيرهم. وهو متأثر أيضاً بالنظريات الخلدونية في العمران والبناء. انظر:محفوظ، محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٧١-٢٧٩.

(٤) الصحبي بن مسعود، **منهج الإمام ابن عاشور**، ص٤-٥.

(٥) السابق، ص٥.

(٦) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٧٧ وما بعدها.

(٧) انظر بعناية وعلى وجه الخصوص ما كتبه الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة في الكتاب الذي كتبه عن ابن عاشور. انظر: ابن الخوجة، محمد الحبيب، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور**، طبع على نفقة الشيخ حمد بن خليفة، أمير قطر، بإشراف وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ص١٥٣ وما بعدها.

(٨) زهمول، خميس، **المصادر المعرفية لابن عاشورمن خلال تفسير سورة آل عمران**، بحث غير منشور، ص٦. والمعموري، الطاهر، **عائلة ابن عاشور**، بحث غير منشور، ص١.

(٩) محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص١٢٣، ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤، والصحبي بن مسعود، **منهج الإمام ابن عاشور**، ص٦. والغالي، د. بلقاسم، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٣٧.

(١٠) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٠، ومحمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص١٠٨.

(١١) أحد وزراء تونس في عهد الاستعمار، وأحد العلماء، انظر ترجمته في: محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونه**، ص٨٩. ومحمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٣، ص٣٥٥ وما بعدها.

(١٢) الصحبي بن مسعود، **منهج الإمام ابن عاشور**، ص٦.

(١٣) السابق، نفس المكان.

(١٤) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤.

(١٥) لعله يعني خالد بن عبد الله الأزهري، (ت ٩٠٥هـ)، (الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج١، ص٢٩٧) وكتابه في علم اللغة يسمى المقدمة الأزهرية. (تمت القراءة على الشيخ أحمد بدر الكافي والشيخ صالح الشريف).

(١٦) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام. (تمت القراءة على الشيخ أحمد جمال الدين والشيخ محمد العزيز بو عتور).

(١٧) المقدمة الآجرومية لمحمد بن داوود الصنهاجي الشهير بابن آجروم (ت ١٣٢٧هـ)، انظر: الأهدل: محمد بن أحمد بن عبد الباري، **الكواكب الدريةعلى متممة الآجرومية**، ج١، ص٥. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(١٨) هو الشيخ عبد الرحمن بن علي المكودي نسبة إلى بني مكود، وهي قبيلة قرب فاس توفي سنة ٨٠٧هـ كما في: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣١٨. وكتابه هو شرح الألفية. (تمت القراءة على الشيخ محمد بن عثمان النجار).

(١٩) هي لابن مالك في الصرف. (تمت القراءة على الشيخ عمر بن عاشور).

(٢٠) هو الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الأشموني الشافعي المتوفى نحو سنة ٩٠٠هـ كما في الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص١٠، والكتاب هو شرح على ألفية ابن مالك، واسمه منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(٢١) هو محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي المعروف بالبدر الدماميني المتوفى سنة ٨٢٧هـ، له حواش ثلاث على مغني اللبيب الأولى حاشية صغيرة والثانية حاشية أكبر، وهاتان الحاشيتان يطلق عليهما الحواشي المصرية على المغني. والثالثة حاشية بالهند غير كاملة سماها تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب، انظر: خليفة، حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص١٧٥٢. والطنطاوي، محمد، **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، مطبعة وادي الملوك، مصر، ص٢٢٠. والذي يظهر من عزو بعض المصادر أن هذه الحواشي مطبوعة. وقد طبعت الحواشي الهندية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهامش كتاب المنصف من الكلام على مغني ابن هشام لأحمد بن محمد الشمني، وذلك في القاهرة سنة ١٨٨٧م، كما أفاده الدكتور عبد الجبار عبد الرحمن في كتابه **ذخائر التراث العربي** المطبوع في البصرة سنة ١٩٨١م، ص٢٧١. (تمت القراءة على الشيخ عمر بن عاشور).

(٢٢) هو متن في الاستعارات طبع ضمن مجموعة المتون، بعناية عبد الله الأنصاري، الشؤون الدينية، قطر، ١٩٨١م، ص ٢٨٩. (هذا ضمن قراءاته على الشيوخ عمر بن عاشور والشيخ محمد النجار والشيخ محمد النخلي).

(٢٣) سعد الدين التفتازاني والكتابان شرحان للسعد على التلخيص... (هذا ضمن قراءاته على الشيوخ عمر بن عاشور والشيخ محمد النجار والشيخ محمد النخلي).

(٢٤) **السلم المنورق أو المرونق كما في كشف الظنون**، ج٢، ص٩٩٨. وهو أرجوزة في المنطق لصاحبها الشيخ عبد الرحمن بن محمد الأخضري المتوفي سنة ٩٨٣هـ. وانظر: **الأعلام**، ج٣، ص٣٣١. (تمت القراءة على الشيخ محمد صالح الشريف).

(٢٥) والتهذيب (تهذيب المنطق والكلام) للسعد التفتازاني، انظر: **الكشف**، ج١، ص٥١٥. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(٢٦) هو كتاب يسمى العقيدة الوسطى للسنوسي محمد بن يوسف المتوفى سنة ٨٩٥هـ. انظر: **الأعلام**، ج٧، ص١٥٤ (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(٢٧) متن مشهور في الكلام لعمر بن محمد بن محمد النسفي المتوفى سنة ٥٣٧هـ (تمت القراءة على الشيخ محمد صالح الشريف).

(٢٨) كتاب مشهور في علم الكلام لعضد الدين الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ (تمت القراءة على الشيخ عمر ابن الشيخ والشيخ محمد النجار).

(٢٩) هو الشيخ أحمد بن محمد الدردير من فقهاء المالكية توفي سنة ١٢٠١هـ، وكتابه أقرب المسالك إلى مذهب مالك، وهو متن محرر هذّب وحسّن فيه مختصر خليل، وهو مطبوع. (تمت القراءة على الشيوخ أحمد جمال الدين وعمر بن عاشور ومحمد صالح الشاهد).

(٣٠) هو كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الفاسي المتوفى سنة ١٠٤٠هـ كما في: البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م، ج٤، ص٤٦٧، وشرحه لأبي عبد الله محمد بن أحمد مياره الفاسي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ كما في: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١١، وله شرحان أحدهما يسمى الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين ويعرف بمياره الكبير، وهو مطبوع، والثاني مختصره ويسمى مياره الصغير. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي والشيخ محمد العربي الدرعي).

(٣١) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ، لأبي الحسن علي بن ناصر الدين المتوفى سنة ٩٣٩هـ. كما في: إسماعيل البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، ج٣، ص٥٥٧. والكتاب مطبوع في مجلدين مع حاشية العدوي عليه.. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي والشيخ محمد العربي الدرعي).

(٣٢) التحفه أرجوزة لأبي بكر محمد عاصم المالكي، ذكر في **كشف الظنون** أنه فرغ من نظمها عام ٨٣٥هـ، وفي: مخلوف، محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في تراجم علماء المالكية**، دار الفكر، بيروت، ص٢٤٧، أن وفاته في ٨٢٩هـ، وقد شرح هذه الأرجوزة أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سوده المري الفاسي التاودي المالكي، المتوفى سنة ١٢٠٧هـ، وسماه حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، كما في: البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، ج٣، ص٤١٩. (تمت القراءة على الشيخ محمد صالح الشريف).

(٣٣) هو أرجوزة في الحساب والفرائض، لعبد الرحمن بن محمد الأخضري المغربي فرغ منها عام ٩٤٦هـ، كما في: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٧٣٨. (تمت القراءة على الشيخ عمر ابن عاشور).

(٣٤) الورقات في أصول الفقه لإمام الحرميـــن عبد الملك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عبد الله الجويني المتوفي سنة ٤٧٨هـ، كما في: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج٢، ص٢٠٠٥. وشرحها المسمى قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين لمحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحطاب المتوفي سنة ٩٥٤هـ، كما في: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص٥٣. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(٣٥) تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفي سنة ٦٨٤هـ كما في: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٤٩٩. (تمت القراءة على الشيخ محمد النخلي).

(٣٦) كتاب جمع الجوامع في الأصول لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي المتوفي سنة ٧٧١هـ، كما في: حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص٥٩٥، وشرحه لجلال الدين محمد ابن أحمد المحلي المتوفي سنة ٨٦٤هـ. (تمت القراءة على الشيخ محمد طاهر جعفر).

(٣٧) هو منظومة صغيرة في أنواع الحديث من تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن فرح الإشبيلي المتوفي سنة ٦٩٩هـ، كما في: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص١٩٤. (تمت القراءة على الشيخ محمد النجار).

(٣٨) الكتاب نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. وهو كتاب مطبوع ومشهور. (تمت القراءة على الشيخ محمد طاهر جعفر).

(٣٩) انظر: ابن الخوجة، محمد الحبيب، **شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم**، ص١٠-١٢، منشور ضمن مجلة جوهر الإسلام عدد ٣-٤ سنة ١٩٧٨م، ص١٠-١٢.

(٤٠) ابن الخوجه، **شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأعظم**، ص١٢. والغالي، د. بلقاسم، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره**، ص٤٠ وما بعدها، والطباع، إياد خالد، محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٠ وما بعدها.

(٤١) هو الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بن محمد ولد سنة ١٢٤٠هـ، في تونس وكان وزيراً للمالية في عام ١٢٨٣هـ من كبار الرجال الذين تولوا الوزارة في تونس فجمعوا بين العلم وجودة النظر في السياسة. توفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

وكان الشيخ يمتلك مكتبه ضخمة غنية بنوادر الكتب والمخطوطات. وآلت هذه المكتبة إلى الشيخ ابن عاشور بعد أن رأى جده همته ورغبته الشديدة في طلب العلم. وتعرف المكتبة الآن باسم المكتبة العاشورية. ينظر في: محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص٨٩-٩٢، ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٥٥-٣٥٧.

(٤٢) هو عمر بن أحمد بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ ولد في عام ١٢٣٩هـ في قرية يقال لها (الماتلين) من أعمال بنزرت، وهو من أول من اهتم بالشيخ ابن عاشور، يوم أن جاء به أبوه إليه، توفي في ١٣٢٩هـ. وكان الشيخ يدرس علوماً كثيرة في الزيتونة، فدرس الشرح المطول على التلخيص وشرح الأشموني على الخلاصة ومغني اللبيب، وشرح المحلي على جمع الجوامع، وشرح السعد على العقائد النسفية، وشرح الزرقاني على مختصر خليل، وتفسير البيضاوي، حيث انتهى فيه إلى أوائل آل عمران. ينظر في: محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص١١٢-١١٦.

(٤٣) هكذا ذكره ابن الخوجة، وهو في شجرة النور: صالح الشريف، وفي المصادر المعرفية لابن عاشور نقلا عن تراجم الأعلام أنه: صالح بن مختار بن محمد العربي الشريف ولد سنة ١٢٨٥هـ. وهو من كبار علماء تونس، وكان كثير الترحال طلبا للعلم ونشره، وتوفي بسويسره سنة ١٣٣٨هـ. وحمل جسده لتونس، ودفن بالجلاز. ينظر في:خميس زهمول، **المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال تفسير سورة آل عمران**، ص٦، ومحمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في تراجم علماء المالكية**، ص٤٢٥.

(٤٤) هكذا ذكره ابن الخوجة، ولعله يريد أبا عبد الله محمد الذي يسمى – حمده الشاهد – من كبار علماء تونس،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخذ عنه عدد كبير من العلماء من بينهم عمر بن الشيخ السالف الذكر توفي سنة ١٣١١هـ، كما في:محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في تراجم علماء المالكية**، ص٤١٥.

(٤٥) فقيه مالكي، كان حيا سنة ١٣٢٣هـ، ولا يعرف تاريخ وفاته، كان من المقربين لدى القصر الملكي والسلط الاستعمارية، وله مواقف مشبوهة تنم عن ضعف في العقيدة الوطنية، وانصياع لمواقف السلط الاستعمارية، كان صوفياً متشبعاً بالخرافات، عاملا على ترويجها بقلمه، وكان من أشد الناس على دعوة الإصلاحيين: الأفغاني ومحمد عبده، وكان بينه وبين الأخير مناوشات على صفحات المنار ومؤلفاته:

١. بلوغ الأرب في مآثر الشيخ الذهب وينقل محمد محفوظ عن المنار بأن هذا الكتاب محشو بالخرافات والدجل، والكتاب مطبوع في جزأين في تونس عام ١٩٠٤ م.

٢. السراج في معرفة صاحب التاج، وهو رسالة وجيزة في بيان حديث المعراج، طبعت في تونس ١٩٠١م، وفي ٢٦ ورقة.

٣. مختصر مولد البرزنجي، مطبوع في تونس سنة ١٨٨٨م. ينظر في:محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٢، ص٥٠.

(٤٦) من كبار العلماء الزيتونيين ورائد النهضة الثقافية بتونس، كان يشار له ولابن عاشور بالرسوخ في العلم، وسعه الإطلاع وجودة البيان مع الميل إلى آثار محمد عبده الإصلاحية، كانت له شجاعة أدبية في الجهر بآرائه المخالفة للمتعارف في وسطه، ومنها آراء محمد عبده، درس بالزيتونة والخلدونية فلسفه الأخلاق، وكان عضوا في الجمعية الزيتونية برفقة الشيخ محمد الخضر حسين، قصد العمل على إصلاح التعليم الزيتوني، توفي بتونس في رجب ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، له ألفية في الجغرافيا. ينظر في: طالبي، الدكتور عمار، ابن **باديس حياته وآثاره**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، ص٤٢، ومحمد مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ص٤٢٥، ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٥، ص٢٦، وانظر ما قاله في الثناء عليه ابن باديس في الكتاب الذي جمعه عمار طالبي بعنوان **ابن باديس حياته وآثاره**، ج٢، ص١٣٨ وما بعدها.

(٤٧) أبو عبد الله محمد بن عثمان بن النجار، من كبار علماء الزيتونة، تولى منصب الإفتاء في ١٢ صفر عام ١٣١٢هـ، وكان يجمع بين هذا المنصب والتدريس في الزيتونة، وبقي كذلك إلى أن توفي ليلة السادس عشر من رمضان سنة ١٣٣١هـ كان رحمه الله عصامي النفس عالي الهمة لا يحتفل بالوظيفة ولا بالوجاهة لدى أهل الحل والعقد. وكان مشاركاً في التأليف وله عدة كتب نافعة في مختلف العلوم هي:

١. إملاءات على أبواب من صحيح البخاري.
٢. بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق.
٣. تحرير على كتاب العلم من صحيح البخاري، طبع بتونس سنة ١٣٢٥ ه في ٦٨ صفحة.
٤. تحرير المقال في أحكام رؤية الهلال.
٥. تقريرات على شرح السيد على المواقف.
٦. تقريرات على شرح المطول.
٧. حاشية على تفسير البيضاوي.
٨. حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع.
٩. ترجمة الشيخ عمر بن الشيخ ووالده الشيخ أحمد.
١٠. رسالة في حكم الحاكم المالكي بتأييد حرمة المدخول بها في العدة.
١١. شمس الظهيرة في مناقب وفقه أبي هريرة.
١٢. مجموع الفتاوى، ويقع في ثمانية مجلدات.
١٣. شرح حديث لا عدوى. وهو خاتمة مؤلفاته رحمه الله.

ينظـــر في: محمد مخلوف، **شجرة النورالزكيـــة**، ص٤٢١-٤٢٢، ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٥، ص١٦-١٨، ومحمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، ص٩٧-٩٩.

(٤٨) لعله هو عمر بن الشيخ السابق الترجمة؛ فإني لم أعثر على عمر بن عاشور هكذا، وصنيع الباحث خميس زهمول في **المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال سورة آل عمران** يفضي إلى أنهما شخص واحد. انظر: ص٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٤٩) أحد أعيان المدرسين بالزيتونة ومن أبرز عناصر الإصلاح، وأحد أعضاء جمعية العروة الوثقى. ينظر في: المنصف الشنوفي، **مصادر عن رحلتي الإمام**، تونس، ص٨٨.

(٥٠) من أعلام عصره، فقيه مجتهد، لغوي أديب، وشاعر. له اليد الطولى في المعقولات، ملم بطرف من التاريخ والجغرافيا والرياضيات، واسع الأفق غزير الذكاء، ناقد ومصلح إسلامي. كان أحد كبار مدرسي الزيتونة، وكان خطيباً مفوهاً، وهو من أوائل الناهضين بإصلاح الزيتونة والتي ظهر الإصلاح فيها بارزا على يد ابن عاشور، ولي خطة الإفتاء في ١٩٠٥م، وشيخ الإسلام في ١٩١٩م. توفي في ١٣٤٢هـ/١٩٢٤. **ومن مؤلفاته:**

١. تقارير على شرح الأشموني على الخلاصة.
٢. تقارير على صحيح البخاري.
٣. ديوان خطب، مطبوع بتونس في ١٩١٣م.
٤. ديوان شعر.
٥. رحلة.
٦. شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول.

ينظر في: محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ص٤٢٦–٤٢٨، ومحمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٢، ص٧٧-٨١.

(٥١) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٦.

(٥٢) محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص١٣٥ –١٣٦.

(٥٣) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٧.

(٥٤) ابن الخوجة، محمد الحبيب، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور**، ج١، ص١٧٥ وما بعدها.

(٥٥) بدأ التطلع نحو الإصلاح واستخلاص العبرة من تفوق أوروبا، وتركيز الإصلاح على استعادة العلوم الحكمية والرياضية، من عهد الوزير خير الدين المتوفى سنة ١٨٩٠م، والشيخ محمود قبادو المتوفى سنة ١٨٧١م، ينظر في هذا: المنصف الشنوفي، **مصادر عن رحلتي الإمام**، ص٧٢، وانظر هامش ٣و٤ منها. ولعل ذلك ما حفز الوزير خير الدين إلى تأليف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. وانظر ترجمة الوزير في: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٢، ص٢٧١-٢٧٩. وانظر ترجمة الأديب محمود قبادو في: **الكتاب السابق**، ج٤، ص٤١، وانظر محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص٨٢-٨٩.

(٥٦) نسبة إلى الأمير محمد الصادق باي في ذلك الوقت.

(٥٧) هو محمد العزيز بو عتور، كما في: ابن عاشور، محمد الفاضل، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار العربية للكتاب، تونس، ص٧٢.

(٥٨) ابن عاشور، محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٦٧م، ص١٠١، وانظر: ابن عاشور، محمد الفاضل، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ص٦٩ وما بعدها.

(٥٩) ابن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، ص٧١.

(٦٠) قد كتب السيد عبد الله الريس عن إحداثيات المرحلة الإصلاحية كلاما موسعا في رسالته: ابن **عاشور ومنهجه في التفسير**. نحيل إليه ولا نرى لزاما أن ننحو نحوه، انظر في ص١٤٥-١٦٢، وانظر ما كتبه ابن باديس في إصلاح التعليم في الزيتونة، في: عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج٣، ص١٨٠ وما بعدها.

(٦١) السابق الموضع نفسه.

(٦٢) المنصف الشنوفي، **مصادر عن رحلتي الإمام**، ص٧٤.

(٦٣) عمارة، الدكتور محمد، **الإمام محمد عبده**، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ص٤٧–٨٦. والمحاورة منقولة منه عن: رضا، محمد رشيد، **تاريخ الأستاذ الإمام**. ج١، ص٤١٦.

(٦٤) ينقل الريس عن كتاب إفريقيا الشمالية تسير: توجد في تونس (١٩) طريقة تمثلها في البلاد التونسية (٥٠٠) زاوية ينتمي إليها ما يقارب من (٣٠٠٠٠) من الإخوان زد على ذلك (٤٠٠٠) من سلالة الأولياء وأتباعهم الذين يخدمون (١٧٨) زاوية وأخيراً (٦٢٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من قبور الصالحين المقدسة. اهـ **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص١٦٢، وانظر: حقي، إحسان، **تونس العربية**، دار الثقافة، بيروت، ص١٩٢.

(٦٥) سيأتي لهذا زيادة بيان.

(٦٦) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير** ص١٦١.

(٦٧) سيأتي غيرها بعد.

(٦٨) **جريدة البصائر** السنة الأولى العدد ١٩ الموافق الجمعه ٢٣ صفر ١٣٥٥هـ/١٩٣١م، ص٢، وانظر: عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج٣، ص٩١.

(٦٩) ورد التعبير عنها بهذا النص في كتب ورسائل كثيرة دون نكير، ويظهر أن هذا الاصطلاح لا غضاضة فيه، وليس هو من قبيل اللمز.

(٧٠) جبران، محمد مسعود، **منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي**، منشور بمجلة كلية الدعوة الإسلامية - الصادرة بليبيا، العدد الخامس، ص٢٠٥ وما بعدها.

(٧١) ص٧ وما بعدها.

(٧٢) جبران، محمد مسعود، **منهج ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي**، ص ٢١٠.

(٧٣) كان هذا في سنة ١٩٩١م ولا زال التعليم للأسف يتردى فيه. وانظر في: صبري، شيخ الإسلام مصطفى، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١م، ج١، ص١٣٣ وما بعدها.

(٧٤) المقصود بهذا إخراجه عن التخصص في علوم الدين والعربية، وجعله مثل أي مكان آخر.

(٧٥) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٢١٥.

(٧٦) ص١٢١، وكذا كتابه الثاني ج١، ص١٦٦ وما بعدها. وسوف نجمع بين ما قاله وبين ما ذكره الباحث خميس زهمول في بحثه بعنوان **المصادر المعرفية لابن عاشور من خلال تفسير سورة آل عمران** في ص٦، وكذلك ما ذكر الصحبي بن مسعود العتيق في بحثه بعنوان **منهج الإمام ابن عاشور في التفسير** ص٨. وما بعدها، ومحد محفوظ، في: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤، وما بعدها، ومحمد الخضر حسين، في: **تونس وجامع الزيتونة**، ص١٢٣ وما بعدها.

(٧٧) انظر ما يتعلق بطبقات المدرسين في: محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**، ص٢٨.

(٧٨) **السابق**، المكان نفسه.

(٧٩) وفي: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤، أن هذه الوظيفة كانت في ١٩٠٤م.

(٨٠) الصحبي بن مسعود، **منهج الإمام ابن عاشور في التفسير**، ص٨.

(٨١) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤.

(٨٢) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٢١٥ وسيأتي الحديث عن تلك الفتوى.

(٨٣) **السابق**، ص٢١٦.

(٨٤) الصحبي بن مسعود، **منهج الإمام ابن عاشور في التفسير**، ص٨.

(٨٥) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٢١٦ وما بعدها.

(٨٦) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص٣٠٤.

(٨٧) **مجلة السعادة العظمى**، نشر علي رضا التونسي، العدد ٧، ص١٠٢، من المجلد الأول.

(٨٨) المنصف الشنوفي، **مصادر عن رحلتي الإمام**، ص١٠٠.

(٨٩) **مجلة السعادة العظمى**، العدد ١٣، من المجلد الأول، ص٢٠٠. ورضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم**، "الشهير بتفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج٦، ص١٧٩، وانظر أيضاً: ج٦، ص١٦٥-١٨١.

(٩٠) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٦ص١٦٩.

(٩١) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٦ ص ١٦٩.

(٩٢) السنوسي، محمد، **الرحلة الحجازية**، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م، ج١ص ١٦٨-١٧٤.

(٩٣) ابن العربي، محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) **أحكام القرآن**، تحقيق محمد علي البيجاوي، دار إحياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التراث العربي، بيروت، ج٢، ص٥٥٦.

(٩٤) **مجلة السعادة العظمى**، العدد التاسع من المجلد الأول، ص١٤٠. انظر: العدد ٧، ص١٠٦ من المجلد الأول والمحوران الأخيران لم يصلنا حديث الشيخ عنها.

(٩٥) **مجلة السعادة العظمى** العدد السابع من المجلد الأول، ص١٠٦ والمحوران الأخيران لم يصلنا حديث الشيخ عنهما.

(٩٦) لقد أجهدني البحث أن أجد في نصوص التوراة والإنجيل ما يبيح أكل لحم الخنزير فلم أجد، ولا أدري ما مصدر هذا الكلام في الأصل.

(٩٧) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٦، ص١٢١-١٢٢ وهذا الجمع بين كلامي ابن العربي هو قريب مما ذكره ابن عرفه ذكر ذلك النجار وضعفه وقال: إنه يحتمل أن تكون هذه الفتوى مدسوسة في الكتاب والله أعلم. هذا وكلام ابن العربي الآنف الذكر ينظر في: ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، دار الفكر العربي، بيروت، تحقيق علي محمد البجاوي، ج٢ص٥٥٦.

(٩٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٦، ص١١٩.

(٩٩) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م) **الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون**، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، ج٤، ص٢٥.

(١٠٠) **مجلة السعادة العظمى**، العدد السابع، ص١٠٦ من المجلد الأول، وانظر نص الفتوى في: رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام**، ج١، ص٦٧٦.

(١٠١) السنوسي، **الرحلة الحجازية**، ج١، ص١١٧-١٢٣.

(١٠٢) السابق، ص١١٧ - ١١٨. وأنا لا ادري لو كان السنوسي هذا حيا الآن ما عساه أن يقول؟ الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر، ص٢٥.

(١٠٣) كنت انتظر من الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة أن يتحدث بإسهاب عن هذه المسألة، ويجلي هذه الفتوى، لا سيما وقد ذكر أن صيتها قد طار في المشرق العربي ومغربه، ولكنه اكتفى بالاقتصار على تأييد ابن عاشور ولمز المخالفين. انظر كتابه: **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١،ص٤٣٠ وما بعدها.

(١٠٤) كان ينتظر من الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة الذي كتب أوسع كتاب في ترجمة شيخه، كان ينتظر أن تتجلى قضية هذه الفتوى في كتابه بشكل يقطع بعده كل قول، لكنه للأسف اتكأ على قليل مما قاله الدكتور بلقاسم الغالي، ولم يضف شيئا ذي بال سوى الإصرار على براءة المفتين مما نسب إليهم. دون أن يعرض بأمانة علمية إلى آراء المخالفين. وإنما اكتفى بلمز الخصوم على اختلاف مشاربهم. نسال الله تعالى السلامة.

(١٠٥) السويسي، الدكتور محمد بن يونس، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر خلال القرن الرابع عشر**، ص٢٥، من أبحاث ملتقى الإمام ابن عاشور.

(١٠٦) حتى اليهود التونسيين دبت فيهم الروح الوطنية في ذلك الوقت، ومع هذا يراد قهر المسلمين عليه!!!

(١٠٧) **المصدر السابق**، ص٢٦، وانظر: عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص١٦٦.

(١٠٨) السويسي، الدكتور محمد بن يونس، **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس الأشهر خلال القرن الرابع عشر**، ص٢٦.

(١٠٩) هذا هو عنوان الغلاف، وانظر: ص٢٠-٣٠ منه.

(١١٠) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص١٦٨.

(١١١) أديب مؤرخ، كان أحد قادة الحزب الدستوري التونسي، من كبار المقاومين للاستعمار، قضى حياته في ذلك عليه رحمة الله. توفي بالجزائر سنة ١٩٨٣م. انظر: محمد السويسي، **الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص٢٧، هامش٣، وانظر: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٤، ص٢٦٣، حيث كانت ترجمة المدني في هذا الكتاب من أطول التراجم وأغزرها، من ص٢٦٣-٢٩٠.

(١١٢) من كبار أعلام تونس، أديب لغوي، غزير الإنتاج، توفي سنة ١٩٧٦م، كما في: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٤، ص١٧٦.

(١١٣) انظر ترجمته في: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التونسيين، ج٥، ص١٥٠، وفيه أن وفاته كانت في سنة ١٩٣٩م.

(١١٤) توفي سنة ١٢.

(١١٥) محمد السويسي، **الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص٢٧. وانظر أيضاً: **مسألة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية**، ص٨-١٤ بتصرف شديد.

(١١٦) محمد السويسي، **الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص٢٧.

(١١٧) علم الأعلام بفتواه تلك، المؤرخة في رمضان ١٣٥١–٣١ ديسمبر. انظر ترجمته في: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص١٨١.

(١١٨) يقول الحبيب بورقيبة في كتابه الذي جعل مداره على نفسه... وعلى أن الشيخ استدعى من طرف وزارة العدل لاستجوابه في شأن هذه الفتوى، فرد بأن الأمر يتعلق بشخص معين فقط؛ لأنه كان سكيرا وفاجرا، لا بعموم المتجنسين، انظر:بورقيبة، الحبيب، **حياتي آرائي جهادي**، وزارة الإعلام، تونس، ١٩٨٣م، ص٨٩.

وهذا القول لم أر من ذكره غير الحبيب. ويقيني أنه غير صادق؛ إذ لو كان كذلك لاستغلته الحكومة في دفع المقاومة الشعبية، ويقيني كذلك أن أبا رقيبة كان يريد النيل من العلماء، وإبطال أي دور للمجاهدين، إلا دوره هو.

(١١٩) لننظر في هذا الكلام العجيب الذي يسوغ الاستعمار واحتلال البلاد باسم المعاهدات ولننظر ما بعده من الكلام فإنه يندى له جبين كل مسلم غيور!!!

(١٢٠) **الحملة الصليبية على الإسلام في شمال أفريقيا: مسالة تجنيس المسلمين بالجنسية الفرنسية**، مكتب الأخبار التونسية، القاهرة، ١٩٣٣م، ص٨-١٤، بتصرف شديد.

(١٢١) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٤، ص٢٧٢.

(١٢٢) الزمرلي، الصادق، **أعلام تونسيون**، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٦٣-٣٦٤.

(١٢٣) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج٣، ص ١٨٤.

(١٢٤) جاء في بحث السيد عبد الله الريس ص ١٧٠، أن الاتفاق كان بين الوزير وشيخي الإسلام محمد بن يوسف ومحمد الطاهر بن عاشور على صياغة هذا السؤال! فلماذا حذف السويسي في هذا الموضوع الإشارة إلى شيخي الإسلام؟!

(١٢٥) الوثيقة مؤرخة في ٢٩ إبريل ١٩٣٣ وهي موجهة من المقيم العام الفرنسي إلى وزير الشؤون الخارجية بباريس.

(١٢٦) هذا تصريح بالارتداد كما هو

(١٢٧) محمد السويسي، **محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص٣٤.

(١٢٨) هو محمد عبد العزيز جعيط اه.

(١٢٩) محمد السويسي، **محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص٣٥.

(١٣٠) بلقاسم الغالي، **شيخ الجامع الأعظم**، ص١٤١-١٤٣ بتصرف.

(١٣١) السابق، ص١٤٥.

(١٣٢) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص١٧١.

(١٣٣) تراجع أعداد المنار المجلد السادس الجزء ٢٠و٢١ و٢٤ إستناداً إلى الموسوعة الالكترونية (مجلة المنار).

(١٣٤) وحاصل جواب ابن عاشور بعد ذكره لخلاف العلماء في مسالة القراءة على الأموات: أنه لا يوجد من يقول: بأن قراءة القران، أو الذكر، في مواطن الجنازة، منكر، حتى يترتب على ذلك أن يحتسب المسلمون بتغييره باليد أو باللسان، بل أقصى حكمها في النهي أن تكون من قبيل المكروه. والمكروه لا ينكر على فاعله، وقد جرى عمل كثير من بلاد الإسلام على اتباع قول الذين رأوا استحباب القراءة، فلأهل الميت الخيار بين أن يتبعوا السنة أو يتبعوا المحتسب... وعليه فكل من يتصدى لمنع أقارب الأموات من تشييع جنائزهم بالقراءة فقد أنكر عليهم بغير علم، واجترأ عليهم بالتدخل في خاصة أمورهم بدون سبب، يحق له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك. وإنما شأن العالم في مثل هذا أن يرغبهم في التأسي بالسنة، وبيان أنها الحالة الفضلى بقول لين، فإن هم تجاوزوا ذلك فحق على ولاة الأمور في البلدان أن يدفعوا عن أهل المآتم عادية من يتصدى بزعمه لتغيير المنكر، دون أن يعلم، من كل متزبب قبل أن يتحصرم. اه. ويبدو أن هذا الجواب لم يراع فيه ابن عاشور واقعات الأحوال، وإنما درس المسالة نظريا دون النظر إلى ما يفعله الناس، ولذلك كان تعليق صحيفة البصائر على هذه الفتوى بعد نشرها مباشرة ما نصه: نشرنا للقراء هذه الفتوى التي لا ننكر ما فيها من علم، بل كنا نقرر نحوه، وما زلنا نقر مثله، والبصير الذي سلمت بصيرته من أدواء الأغراض والأهواء، لا يخفى عليه أن ما في هذه الفتوى من علم هو في واد، وما ننكره نحن في واد آخر، فالشيخ نقل أقوال العلماء المتقدمين –وهي في مجرد التلاوة- ونزلها على حالتنا الحاضرة، التي ليس فيها مطلق القراءة، بل فيها الاتجار بها، والاستهانة بالقرآن، وأكل أموال اليتامى، وغير ذلك من المنكرات، التي لو تصورها الشيخ ثم صورها في فتواه، لم يستطع أن ينزل عليها ما نقله من الأقوال، التي نشاركه الاعتراف بها واحترامها. ونود لو يتصدى العلماء لنقد هذه الفتوى، فيفصلون ما أجملنا وينبهون على ما أغفلنا؛ فإن في الأمة من لا يكتفون في نقد مثل هذه الفتوى بمثل هذا التعليق

(١٣٥) انظرها أيضا في كتاب: عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج٣ص٣٧-١١٤.

(١٣٦) الإبراهيمي، محمد البشير، **عيون البصائر**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص ٦٢٨.

(١٣٧) السبكي، عبد الوهاب بن علي، (ت ٧٧١هـ /١٣٧٠م) **طبقات الشافعية**، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٨٧-١٩٨. والقاعدة المشار إليها تتعلق بعدم قبول الجرح من المتعاصرين؛ لأن المعاصرة حجاب كما يقال.

(١٣٨) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥١٢.

(١٣٩) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٣١.

(١٤٠) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١١٤.

(١٤١) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣١.

(١٤٢) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٥٢.

(١٤٣) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١١٩.

(١٤٤) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥١٤.

(١٤٥) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٢٨.

(١٤٦) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٢٠.

(١٤٧) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣١. وقد قام الأستاذ الدكتور شاكر الفحام بتعقب ابن عاشور في تحقيقه لهذا الديوان في كتاب سماه **نظرات في ديوان بشار**، طبع بمجمع اللغة العربية بدمشق، عام ١٩٧٨م.

(١٤٨) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣٢.

(١٤٩) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣٢. وفي كتاب اياد الطباع ان اسمه سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي طبع في تونس سنة١٩٧٠م، وذلك في ص١٤٥ وما بعدها من كتاب **محمد الطاهر ابن عاشور**.

(١٥٠) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣١.

(١٥١) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص١٩٠، والطباع، إياد، **محمد الطاهر ابن عاشور**، ص١٣٣-١٣٤.

(١٥٢) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣٢.

(١٥٣) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٤٩٦.

(١٥٤) **السابق**، ص٥٠١.

(١٥٥) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٢٠.

(١٥٦) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٥٧) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٣٢.

(١٥٨) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥١٠.

(١٥٩) ابن الخوجة، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر**، ج١، ص٥٠٥.

(١٦٠) ذكرها ابن عاشور في تفسيره باسم الإيجاز على دلائل الإعجاز، ج٣، ص٩٢.

(١٦١) أصدر مركز جمعة الماجد كتابا بعنوان فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور جمع وتحقيق: د. محمد بن إبراهيم بوزغيبة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.

(١٦٢) الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٣٧.

(١٦٣) ذكر السيد عبد الله الريس أن اسمه فوائد الأمالي التونسية على فرائد اللآلي الحماسية، ويقع في أربعة مجلدات. انظر: عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٢٠٥.

(١٦٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، طبع الشركة التونسية للنشر، تونس، سنة ١٩٨٤م، ج١، ص٢٥٧، وج٢٢، ص٢٦٥، وج٢٨، ص٢٦٢.

(١٦٥) في: ج٢٣، ص٢١٨.

(١٦٦) في: ج٢١، ص٣١٤.

(١٦٧) في: ج١٦، ص٣٣٠.

(١٦٨) عبد الله الريس، **ابن عاشور ومنهجه في التفسير**، ص٢١٢-٢١٣. وانظر كذلك: الطباع، إياد، **محمد الطاهر بن عاشور**، ص١٥٤.

(١٦٩) محمد السويسي، **محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر**، ص١٤.

(١٧٠) د. بلقاسم الغالي، **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور**، ص٩.

(١٧١) **السابق** ص٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com